وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآنية
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

مقومات الحضارة الإنسانية وعوامل تدهورها

في ضوء هدايات قصص سورة الشعراء

اسم الباحث/ـة

د/ محمد علي منصور مزروعه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلات والسلام على خاتم النبين، وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

إن القرآن الكريم يصور لنا حال الحضارات الإنسانية تصويرًا عميقًا ودقيقًا وفق حقائق علمية، وتطبيقات عملية، وآثار عينية، تجمع بين الحقيقة والواقع، فهي تحكي عن واقع الإنسان، ومدى تطور وتقدم الفكر الإنساني.

فقد سجل الذكر الحكيم أحداث الأمم والحضارات الإنسانية البائدة، وفي ذلك إشارات مهمة لعل أهمها: أن الإنسان نفسه هو سبب تقدم الحضارة وارتقائها، وفي الوقت نفسه قد يكون عامل هدم وتدهور تلك الحضارة.

وفي طور البناء الحضاري لم يغفل النور المبين مقومات الحضارة الإنسانية، وعوامل قيامها، والدور الذي يجب على الأمم أن تقوم به نحو الانطلاق والنهوض بالمجتمعات في كل جوانب الحياة.

ولم يفتر الكتاب العزيز ويتغاضى عن التحذير والتخويف من أسباب وعوامل انتكاس الحضارة الإنسانية وتدهورها المجتمعات البشرية.

وكم من حضارة إنسانية ظلت تفكر بنفس تفكير الحضارات البائدة، وتسير على نفس النهج، فتغتر وتبعد عن الله بسبب ماديتها موهمة بأنها في منأى عن العقاب، وكم من حضارة تحصنت بكل أساليب الوقاية والحماية، وأخذت تفسد وتجلب الدمار للبشرية ولم يأمنوا مكر الله، فآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون، فضمحلت حضارتهم، وتلاشت هويتهم، وطويت صحائف تاريخهم، كما طويت صحائف الجبارين، وانهارت مدائن المفسدين.

وإن قصص القرآن الكريم، وما يتضمنه من أحداث الماضي السحيق، ليحمل في طياته إلينا من التجارب والمعاني ما نحن في أمس الحاجة إليه اليوم، لعلنا ننتفع بتجاربهم، فيحدث الاتعاظ بما حدث لهم، وما حل بهم، ويكون

الإنسان ملمًا بقوانين الاجتماع، فنستفيد من القديم في بناء الحاضر والجديد، وتقوم حضارة راسخة الأركان، شديدة البنيان، نتحدى بها الزمن، وتثبت في مواجهة الشدائد والمحن.

وسورة الشعراء واحدة من السور التي تحكي قصص الأنبياء، وتستعرض أسس وركائز الحضارة الإنسانية والعوامل التي تؤدي إلى تدهورها ومن ثم أفولها وفي هذه السورة الجامعة، تتجلى الهدايات القرآنية، والآيات الربانية، التي ترشد وتوجه بني الإنسان إلى معالم النهوض الحضاري، والرقي القيمي والأخلاقي، في سبع قصص متماسكة في خط واحد من البدء إلى الختام، تؤلف وحدة متكاملة متجانسة متناسقة تعبر عن موضوع هذا البحث، وتبرزه في أساليب متنوعة، وحلقات متشابكة، ويظهر ذلك من خلال هذا البحث والمعنون بـ"**مقومات الحضارة الإنسانية وعوامل تدهورها في ضوء هدايات قصص سورة الشعراء**"

أهمية الموضوع:

وتكمن أهمية البحث في كونه رؤية قرآنية وهدايات ربانية، تتجلى في هذه السورة الجامعة، التي تهدف إلى بناء الإنسان وتوجهه إلى: معالم النهوض الحضاري، والرقي القيمي والأخلاقي، وتعمل على علاج مشكلاته.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تساؤل رئيس هو: ما هي أسس وركائز الحضارة الإنسانية في سورة الشعراء؟ وما هي العوامل التي تؤدي إلى تدهورها ومن ثم أفولها، ويرتبط بهذا التساؤل أسئلة فرعيه منها:

١- ما هي المقومات الدينية والأخلاقية والتشريعية التي تسهم في قيام الحضارة الإنسانية؟

٢- ما هي أبرز الانحرافات العقدية والسلوكية التي تؤدي إلى سقوط الحضارة الإنسانية؟

٣-ما هي مظاهر الحضارة المادية الإنسانية في سورة الشعراء؟، وما هي العاقبة التي انتهت إليها؟

٤- ما هو دور وأثر هدايات قصص سورة الشعراء في توجيه الحضارة الإنسانية اليوم، وعلاج مشكلاتها؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

١. الوقوف على المقومات الدينية والأخلاقية والتشريعية لقيام الحضارة الإنسانية.

٢. إبراز الانحرافات العقدية والسلوكية التي تؤدي إلى سقوط الحضارة الإنسانية.

٣. توضيح مظاهر ومعالم الحضارة المادية الإنسانية، وما آلت إليه في ضوء هدايات قصص سورة الشعراء.

٤. بيان أثر هدايات قصص سورة الشعراء في توجيه الحضارة الإنسانية اليوم، وعلاج مشكلاتها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء في مراكز المعلومات، وقواعد البيانات، وفهارس كثير من الجامعات، ومراكز البحوث، لم أقف على دارسة تناولت مقومات الحضارة الإنسانية في سورة الشعراء خاصة.

منهج البحث:

تقوم هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي: وذلك بجمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع في السورة، والمنهج الوصفي التحليلي:

حيث يقوم الباحث بتحليل النصوص القرآنية مستخرجًا منها الهدايات القرآنية للوقوف على أسس وركائز الحضارة الإنسانية، وإدراك الأبعاد التي كانت سببًا في سقوط تلك الحضارة وزوالها، لعلنا نعي تلك الدروس في واقعنا المعاصر.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

التمهيد: التعريف بسور الشعراء ومفهوم كل من: الحضارة والهدايات.

المطلب الأول: التعريف بسورة الشعراء.

المطلب الثاني: مفهوم الحضارة.

المطلب الثالث: مفهوم الهدايات:

المبحث الأول: مقومات الحضارة الإنسانية في ضوء الهدايات.

المطلب الأول: المقومات الدينية.

المطلب الثاني: المقومات الأخلاقية.

المطلب الثالث: المقومات التشريعية.

المبحث الثاني: عوامل تدهور الحضارة الإنسانية في ضوء الهدايات.

المطلب الأول: الانحرافات العقدية.

المطلب الثاني: الانحرافات السلوكية.

المبحث الثالث: مظاهر الحضارة المادية الإنسانية في ضوء الهدايات.

المطلب الأول: معالم الحضارة المادية.

المطلب الثاني: مآلات الحضارة المادية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات

التمهيد

التعريف بسور الشعراء ومفهوم كل من: الحضارة والهدايات.

المطلب الأول: التعريف بسورة الشعراء:

أولاً: أسماء سورة الشعراء:

تسمى سورة الشعراء، وهذا الاسم هو المشهور لدى علماء التفسير؛ وذلك لذكر الشعراء فيها ، وتسمى أيضاً بـ"طسم" ومما يدل على ذلك قول مجاهد: "طسم" اسم للسورة(١). وقد يجمع بين لفظي "طسم" و"الشعراء" في مكان واحد فيقال " طسم الشعراء" لما رُوي عن ابن عباس–رضي الله عنهما– قال: «نزلت سورة "طسم" الشعراء بمكة» (٢). وتسمى أيضاً سورة الجامعة قال ابن كثير: ''ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتها سورة الجامعة"(٣).وتسمى أيضاً سورة الظلة(٤).

ثانياً: عدد آيات سورة الشعراء، وكلماتها وحروفها: عدد آياتها: مائتان وست وعشرون آية في عد المكي والمدني ومائتان وسبع وعشرون في عدّ الكوفي والشامي والمدني (٥) كلماتها: ألف ومائتان وسبع وسبعون كلمة حروفها: خمسة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون(٦).

ثالثًا: خصائص سورة الشعراء: أن سورة الشعراء من المئين التي أوتيها النبي– ﷺ– مكان الزبور(٧).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،جـ١٣صـ٨٧،تحقيق/ أحمد البردوني، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ، دار الكتب المصرية القاهرة

(٢) الدر المنثور، السيوطي، جـ٦صـ٢٨٨، دار الفكر، بيروت.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، جـ٦صـ١٣٥، تحقيق/ سامي السلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، دار طيبة.

(٤) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، جـ٢صـ٣٢٤، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، مكتبة المعارف – الرياض

(٥) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، أبو الفرج بن الجوزي، صـ٢٩٦، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار البشائر بيروت – لبنان

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى،جـ١صـ٣٤٤، تحقيق/محمد علي النجار، طبعة سنة ١٤١٦هـ–١٩٩٦م، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.

(٧)الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، جـ١٣صـ٨٧.

رابعًا: مكان نزول سورة الشعراء: سورة الشعراء مكية في قول الجمهور [١] وكان نزولها بعد سورة الواقعة [٢]

خامسًا: سبب نزول سورة الشعراء: تسلية للنبي- ﷺ- مما يلاقيه من قومه، حيث ذكر الله سبحانه في هذه السورة موقف المكذبين من الرسل، لتكون مسلية لرسول الله ﷺ.

سادسًا: أهداف سورة الشعراء: إن مما يعين على فهم وتدبر القرآن الكريم، معرفة أهداف السور، والقضايا المحورية التي تعالجها؛ وذلك يزيد المعنى وضوحًا في ذهن القارئ، ويوقفه على هدايات السورة.

والسور المكية لها أهدافها الخاصة، وطابعها المميز، ولذلك فإن سورة الشعراء تقرر الأهداف التالية:

الهدف الأول: الإيمان بالله تعالى، والدعوة إليه، وإفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [٣]

الهدف الثاني: تسلية للنبي -ﷺ-وتعزية له عن عناد قومه وتكذيبهم له، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [٤].

الهدف الثالث: الإيمان بالرسالات السماوية وبيان صدق الرسل، وتحديد مهمتهم بالبشارة والإنذار

الهدف الرابع: الدعوة إلى أمهات الأخلاق، فالسورة قد ذكرت أفعال تلك الأمم الهالكة وإنكار الرسل لها.

المطلب الثاني: مفهوم الحضارة.

تعريف الحضارة في اللغة وفي الاصطلاح.

الحضارة في اللغة: مفرد حضارات، والحضر بفتحتين: خلاف البدو، الحاضرة: ضد البادية وهي المدن والقرى والريف، والبادية ضدها، والحضارة: الإقامة في الحضر[٥]

---

(١) أحكام القرآن، ابن الفرس، جـ٣صـ٤٠٢، تحقيق/صلاح الدين بو عفيف، الأولى سنة ١٤٢٧هـ ، دار ابن حزم ، بيروت

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، جـ١٩صـ٩٠، طبعة سنة ١٩٨٤م، الدار التونسية للنشر تونس

(٣) سورة الشعراء، الآية:٢١٣.

(٤) سورة الشعراء، الآية:٣.

(٥) مختار الصحاح،الرازي،صـ٧٥،تحقيق/يوسف الشيخ ،الطبعة الخامسة سنة١٤٢٠هـ-١٩٩٩م،المكتبة العصرية، بيروت.

الحضارة اصطلاحًا: تعنى بالمنجزات والأعمال التي حققها الإنسان في مجال التشييد والبناء والإنتاج، الصناعي والزراعي [١] وهي: مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر [٢] والإسلام له تصوره الخاص للحضارة فهي تعني: عمارة الأرض، وترقية الحياة على ظهرها إنسانيًا، وخلقيًا، وعلميًا، وأدبيًا، وفنيًا، واجتماعيًا، وفق منهج الله وشريعته [٣] وهذا التعريف يشير إلى أسس ومبادئ الحضارة الإسلامية، واعتمادها على الوحي في تأسيس منهجها ومقوماتها.

المطلب الثالث: مفهوم الهدايات: تعريف الهدايات في اللغة وفي الاصطلاح.

أولاً: تعريف الهدايات في اللغة: الهدايات جمع هداية، من هداه يهديه هداية، وهي نقيض الضلال، وفي اللغة تطلق على: البيان والدلالة والطاعة، والورع، والإرشاد وإخراج شيء إلى شيء [٤] والدليل يهدي القوم [٥] والدلالة على ما يوصل إلى المطلوب [٦]فالهداية في اللغة: الدلالة والمعرفة والإرشاد والتوفيق.

ومن معاني الهداية: المنهاج الواضح [٧] .

والهداية دلالة بلطف، والهداية هي: الإرشاد إلى الخيرات قولًا وفعلًا.

---

[١] من حضارتنا، د/جورد عطية، صـ١٦، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦م مكتبة الملك فهد الوطنية

[٢] معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار، جـ١ صـ٥١٣، الطبعة الأولى سنة١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، دار عالم الكتب.

[٣] الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي، د.علي مدكور، صـ٣٩، طبعة سنة ١٩٩٢م، دار التربية الحديثة.

[٤] تهذيب اللغة،الأزهري،جـ٦صـ٢٠١،تحقيق/ محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي- بيروت

[٥] المحيط في اللغة، الصاحب ابن عباد، جـ١صـ٣١٧، تحقيق/ محمد آل ياسين، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ عالم الكتب، بيروت.

[٦] التعريفات، الشريف الجرجاني، صـ٢٥٦، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان.

[٧] معاني القرآن وإعرابه،الزجاج،جـ١صـ٤٩،تحقيق/عبد الجليل شلبي،الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م،عالم الكتب بيروت.

الفرق بين الارشاد والهداية: أن الارشاد إلى الشيء هو التطريق إليه والتبيين له، والهداية هي التمكن من الوصول إليه، وقد جاءت الهداية للمهتدي في قال تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ (١) فذكر انهم دعوا بالهداية وهم مهتدون لا محالة ولم يجئ مثل ذلك في الارشاد (٢) .

ثانياً: تعريف الهدايات القرآنية في الاصطلاح:

والهداية في الاصطلاح: هي الدلالة بلطف على ما يوصل للمطلوب (٣)

والهداية: هي معونة من الله، يتوصل بها الإنسان إلى بغيته وهي: الدلالة المبينة لإرشادات القرآن التي توصل لكل خير، وتمنع من كل شر (٤) .

(١) سورة الفاتحة، الآية:٦.

(٢) معجم الفروق اللغوية،أبو هلال العسكري،صـ٤٢،تحقيق/بيت الله بيات، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ،مؤسسة النشر الإسلامي

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، جـ١صـ٦٢، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م، طبعة دار المنار.

(٤) لهدايات القرآنية دراسة تأصيلية،أ.د/طه عابدين وآخرون،جـ١صـ٤٤،الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م،مكتبة المتنبي.

المبحث الأول

مقومات الحضارة الإنسانية في ضوء الهدايات.

المطلب الأول: المقومات الدينية.

لقد احتوت سورة الشعراء على العديد من الحضارات القديمة، ودونت المسيرة التاريخية، والأحداث الذاتية لتلك الحضارات التي تخبطت في دياجير الظلام، ولم تسترشد بنور الهدى السماوي الذي تستقيم به الفطرة الإنسانية، وتقوم على منهجه الحضارة الرائدة.

وكما صورة السورة الكريمة المجابهة العنيفة مع الحضارات الضالة وهي تشرد في جموح، وتجنح عن سبيل الاستقامة والهدى، راحت السورة توجه العقول إلى الركائز الأساسية، والمقومات الدينية، التي تحقق للبشرية الأهداف والمقاصد المادية والمعنوية، وتؤدي إلى بناء الحضارة الإنسانية وفق مقتضيات المراحل الزمانية والمكانية، وتكمن عناصر المقومات الدينية فيما يلي:

أولًا: التوحيد.

وهو إفراد الله – تعالى– بالعبادة، وترك عبادة ما سواه [1] وهو إثبات الإلهية لله، ونفيها عما عداه [2] .

وتوحيد الله هو أول دعوة الرسل، وأول منازل السائرين السالكين إلى الله رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [3] .

وهو ينقسم إلى ثلاثة أنواع:أولها:توحيد الربوبية ومعناه: أن الله وحده خالق كل شيء، وهو توحيد الله بأفعاله، وهذا النوع مركوز في أصل الفطرة الإنسانية،قال تعالى:﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [4] .

ومن هذا النوع، قول الله تعالى في قصة موسى عليه السلام:﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [5] .وفي هذه الآية إشارة إلى توحيد الربوبية في سياق توحيد

---

[1] التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، الشيخ صالح الفوزان، صـ٢٨، طبعة دار العاصمة.

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، صـ٢٥٢، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

[3] سورة الأنبياء، الآية:٢٥.

[4] سورة الزخرف، الآية:٩.

[5] سورة الشعراء، الآية:١٦.

الألوهية، فهو استدلال على وحدانية الله واستحقاقه للعبادة، وإنها المجابهة الصريحة بحقيقة التوحيد، بلا تدرج ولا مداراة.

وهذه الآية تقتضي أن ما سواه مربوب مخلوق بالضرورة، وكل مخلوق حادث بعد أن لم يكن، وفي إثبات توحيده ما يقتضي عدم مشاركة شيء من العالمين له في خصائص الربوبية [1] ومن هذا النوع قوله تعالى:﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [2] .فلما سأل فرعون سؤال المتنكر المتهكم أجابه موسى-عليه السلام- بصفة من صفات ربوبيته فهو" رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ" ومالك ما بينهما، وهو جواب بليغ،

وفي هذا استدلال بالشاهد على الغائب؛ ليكون قوله عن معرفة وعلم

ولم يلبث موسى – عليه السلام- أن أجابه بصفة أخرى من صفات رب العالمين، وهي من توحيد ربوبيته سبحانه، فقال: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [3] فهو مالككم ومالك من مضى قبلكم من آبائكم الأولين [4] .

ومن هذا النوع في قصة إبراهيم -عليه السلام- مع قومه،

قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [5] فإبراهيم -عليه السلام- يعلن عدواته لهذه العقيدة الفاسدة، ويجاهر بعدائه لآلهة قومه، فلا مجاملة في التوحيد.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:"هو المنفرد بنعمة الخلق، ونعمة الهداية للمصالح الدينية والدنيوية.

ثم خصص منها بعض الضروريات، هو وحده المنفرد بذلك،

فيجب أن يفرد بالعبادة والطاعة، وتترك هذه الأصنام، فهذا دليل قاطع، وحجة باهرة، لا تقدرون أنتم وآباؤكم على معارضتها" [6] .

---

[1] مدارج السالكين في منازل السائرين، ابن قيم الجوزية، جـ١صـ٦٩، تحقيق/محمد الإصلاحي، الطبعة الثانية سنة ١٤٤١هـ دار عطاءات العلم -الرياض؛ التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، صـ٦٦، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ دار ومكتبة الهلال- بيروت.

[2] سورة الشعراء، الآيتين:٢٣، ٢٤.

[3] سورة الشعراء، الآية:٢٦.

[4] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، جـ٢١صـ١٣، تحقيق/محمود شاكر، دار التربية والتراث.

[5] سورة الشعراء، الآيات: ٧٧-٨٢.

[6] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، صـ٥٩٢.

وفي قصة هود –عليه السلام– مع قومه يقول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ۝١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ [1] فهود–عليه السلام–يذكرهم بنعم الله عليهم على وجه الإجمال:

أولًا: في قوله" أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ"ليوقظهم من سنة الغفلة،ثم فصل ما وهبهم الله إياهم من نعم، وهي النعم المعهودة في كل عصر وحين.

وفي قصة شعيب–عليه السلام– يقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [2] فالله هو الذي خلقهم هم وأسلافهم ، فكما انفرد بخلقكم، وخلق من قبلكم ، فأفردوه بالعبادة والتوحيد" [3] .

وتختم السورة بهذا النوع من التوحيد، وذلك في **قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [4] وإنه لتعقيب يعود فيه السياق إلى ما تضمنته مقدمة السورة وهو الحديث عن القرآن الكريم، فيؤكد على أنه منزل من رب العالمين" فالذي أنزله، فاطر الأرض والسماوات، المربي جميع العالم، العلوي والسفلي، وكما أنه رباهم بهدايتهم لمصالح دنياهم وأبدانهم، فإنه يربيهم أيضا، بهدايتهم لمصالح دينهم وأخراهم" [5] .

ثانيًا: توحيد الألوهية:

وهو استحقاقه تعالى بالعبادة فلا يعبد سواه، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة [6] وهو أن يعلم على وجه العلم واليقين، أن الله هو المألوه وحده، المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله تعالى" [7] .

وشواهد توحيد الألوهية في سورة الشعراء، من خلال قصص الأنبياء واضحة، فقد جاء على لسان سحرة فرعون إقرارهم بتوحيد الألوهية، قال

---

[1] سورة الشعراء، الآيات: ١٣٢–١٣٤.
[2] سورة الشعراء، الآية:١٨٤.
[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، صـ٥٩٧.
[4] سورة الشعراء، الآية:١٩٢.
[5] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، صـ٥٩٧.
[6] الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، الشيخ صالح الفوزان، صـ٣٠، الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، دار ابن الجوزي.
[7] الفتاوى السعدية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، صـ١٠–١١، طبعة سنة ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م، مكتبة المعارف.

تعالى:﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [1] لقد أفردوا الله بالعبادة،ولم يكونوا أصحاب عقيدة، ولكن الحق تغلل في قلوبهم، فأزال عنهم ركام الضلال،وحطام الشرك.

ومن توحيد الألوهية، قول الله تعالى:﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ بهذا الجزم، وتلك اليقين،

يؤكد موسى-عليه السلام- أن معية الله تلازمه بالحفظ والرعاية، والتوفيق والهداية؛ لأنه كان مع الله وحده، ومن كان مع الله كان الله معه. [2]

ومن هذا النوع، قول الله تعالى:﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [3] والآية حجة واضحة على إفراد موسى رب العزة بالألوهية والعبادة، والاعتراف بوحدانيته، ونبذ الشرك، والبراءة من أهله.

وتأتي قصة إمام الموحدين، إبراهيم-عليه السلام- وحواره مع عشيرته وقومه حول العقيدة والتوحيد، وانكار الآلهة المدعاة المعبودة من دون الله، قال الله تعالى:﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [4] فهو يستنكر ما كان يعبد أبوه وقومه من أصنام، ويخالفهم في شركهم، وينكر عليهم ما هم عليه من ضلال، ويفارقهم بعقيدته،

ويقطع ما بينه وبينهم من روابط.

ومن هذا النوع أيضًا قول الله تعالى:﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [5] قلب سليم من الشرك، والشك، عامر بالإيمان والتوحيد، والإخلاص لله رب العالمين، ومنه قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [6] في العبادة والمحبة والخوف والرجاء، وندعوكم كما ندعوه، فتبين لهم حينئذ ضلالهم، إذ سوّهم برب العالمين في العبادة.

وبعد عرض حال الأنبياء الداعيين إلى عبادة الله وحده، وذكر مآل المكذبين المستنكفين عن عبادة الله توجه بالخطاب والتفت إلى رسول الله -ﷺ- يحذره من الشرك، وهو أبعد ما يكون عنه؛ ليكون غيره أولى بالحذر، فقال له:﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾ [7] والنهي عن الشيء أمر بضده، فالنهي

---

[1] سورة الشعراء، الآيتان:٤٧، ٤٨.

[2] سورة الشعراء، الآيتان:٦١، ٦٢.

[3] سورة الشعراء، الآية:٢٩.

[4] سورة الشعراء، الآيات:٧٥-٧٧.

[5] سورة الشعراء، الآية:٨٩.

[6] سورة الشعراء، الآيتان:٩٧، ٩٨.

[7] سورة الشعراء، الآية:٢١٣.

عن الشرك أمر بإخلاص العبادة لله وحده، وبعد إنذار النبي-ﷺ- يكلف بإنذار أهله ليكون لمن سواهم عبرة.

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات: وهذا النوع مبني على أصلين وهما:

الأول: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله-ﷺ- من الأسماء والصفات. والثاني: تنزيهه عما نزه عنه نفسه، ونزهه عنه رسوله-ﷺ- من العيوب والنقائص [1] .

ومن آيات سورة الشعراء الدالة على توحيد الأسماء والصفات، قول الله تعالى:﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [2] وصفة " ٱلرَّحْمَٰنِ " يتصف بها الله وحده، ولا يجوز إطلاقه على غيره.

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:"واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلا بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم. فالنعم كلها، أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء" [3] .

ومن توحيد الأسماء والصفات، قول الله تعالى:﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [4] عزيز في نقمته من أعدائه، الرحيم بالمؤمنين وبغيرهم،

حيث لا يعجل عليهم بالعقوبة، وهناك عدة آيات كلها تدل على توحيد الأسماء والصفات، ومن ذلك: صفة السمع والمعية في قوله تعالى:﴿قَالَ كَلَّآ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [5]

وإثبات صفة المغفرة قال تعالى:﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [6] وإثبات صفة العلم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [7] والضابط في باب الأسماء والصفات إثبات ما أثبته الله لنفسه من هذه الأسماء، وتلك الصفات، وما أثبته له رسوله-ﷺ- من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وفق قوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [8] .

---

[1] التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، الشيخ صالح الفوزان، صـ٢٨، ٢٩، طبعة دار العاصمة.

[2] سورة الشعراء، الآية:٥.

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، صـ٣٩.

[4] تكررت هذه الآية في سورة الشعراء ثمان مرات، الآيات: ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١.

[5] سورة الشعراء، الآية:١٥.

[6] سورة الشعراء، الآية:٥١.

[7] سورة الشعراء، الآية:٢٢٠.

[8] سورة الشورى، الآية:١١.

ثانيًا: الإيمان:

إن لنشأة الحضارة، وانهيارها واندثارها سنن، وضحتها سورة الشعراء، وذلك من خلال ما جاء فيها من قصص ينطوي على سنن ربانية، وقوانين كونية تحكم قيام وبناء الحضارة، وتتحكم في تقدمها في السير نحو النضج.

وتحت مظلة الإيمان تقوم الحضارة وتزدهر، وبالإعراض عنه تضعف وتندثر، ولنا العبرة والعظة في حضارة سبأ التي بلغت أوجها، ولكنهم أعرضوا عن الإيمان وكفروا به، فانهارت حضارتهم، واندثرت مدنيتهم.

ولماذا الإيمان؟ لأنه هو الذي يقوّم الإنسان محور الحضارة، وأداة بناءها، وفي نفس الوقت هو معول هدمها، هو اللبنة والركن الذي لا تقوم إلا به الحضارة، ولعل هذا هو سر اهتمام الوحي بالإنسان، فإذا ما تدبرنا قول الله تعالى:﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [1] أدركنا أن بناء الحضارة وانهيارها بيد الإنسان نفسه، نستشف ذلك –أيضًا– من قول الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [2] وعليه كان من الواجب تزويد الإنسان بالإيمان الذي يحصنه، ويصلحه، ويدفعه للبناء والتعمير،

ومن هنا يمكن أن نقول:

١. الإيمان هو أداة صلاح الإنسان، وهو المحرك له نحو الرقي الخلقي والاجتماعي.

٢. الإيمان هو سبب الأمن والطمأنينة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [3] ولن تكون هناك حضارة بدون أمن واستقرار.

٣. الإيمان هو المحرك للحضارة، إذ إنه يحرك الحياة نحو الأمام بما يثبته في النفوس والقلوب، من معان روحية تعطي للإنسان الطاقة اللازمة بما يضفيه على العمل من قدسية، باعتباره عبادة.

٤. الحضارة تحتاج إلى همة عالية، وصبر جميل، في تحمل المشاق، ولا شك أن الإيمان يزود الإنسان بالطاقة.

---

[1] سورة الروم، الآية:٤١.
[2] سورة الإسراء الآية:١٦.
[3] سورة الأنعام الآية:٨٢.

٥. لا حضارة بدون علم ترفع عن كاهل الأمم ظلمات الجهل ويبدد تبعاته،وسلم الوصول إلى هذه الطاقة التي تفجر ينابيع المعرفة هو الإيمان قال تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (١)

وغير ذلك من الفوائد التي يحققها الإيمان حينما تدرك البشرية حقيقته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (٢) .

ولما كانت سورة الشعراء مكية، فإنها تدور حول تقرير أهداف إيمانية رئيسية منها:

الهدف الأول: الإيمان بالله تعالى والدعوة إلى إخلاص العبادة له، على ما يقتضيه قول الله تعالى:﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ (٣) ومن خلال دعوات الأنبياء لأقوامهم في سورة الشعراء.

الهدف الثاني: الإيمان بالرسل، وبما أمروا بتبليغه من رسالات ربهم، وهذا الهدف واضح وبيّن من خلال الحوار الدائر بين الرسل وأقوامهم، يقول الله تعالى لموسى عليه السلام:﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤) أي أرسلنا إليك لتؤمن به، وتنقاد لعبادته، وتذعن لتوحيده (٥) يقول الزجاج:معناه إنا رسالة رب العالمين، أي ذو رسالة رب العالمين (٦) وجمع من الأنبياء، كل منهم قال لقومه: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (٧) أي إني لكم أيها القوم رسول من الله أرسلني إليكم، أمين على وحيه ورسالته التي أوعدينها إليكم (٨) .

وبعد انتهاء القصص جاء هذا التعقيب الأخير ليؤكد أن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى على رسوله -ﷺ- لينذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ

---

(١) سورة فاطر الآية:٢٨.
(٢) سورة الأعراف الآية:٧٩٦.
(٣) سورة الشعراء، الآية:٢١٣.
(٤) سورة الشعراء، الآية:١٦.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٥٨٩.
(٦) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ص٨٥.
(٧) جاءت هذه الدعوة على لسان كل من نبي الله: نوح الآية:١٠٧، وهود، الآية:١٢٥، وصالح، الآية:١٤٣، ولوط، الآية:١٦٢، شعيب، الآية:١٧٨.
(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٢ص٢٥.

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [١] يقول البيضاوي: "على قلبك تقرير لحقيقة تلك القصص، وتنبيه على إعجاز القرآن، ونبوة محمد-ﷺ-فإنها فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون إلا وحيًا من الله عز وجل" [٢] .

الهدف الثالث: الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من أحداث، ومن مشاهد ذلك في سورة الشعراء، دعاء الخليل-عليه السلام-في قوله:﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [٣] .

وقد ذكرت سورة الشعراء مشهدًا من مشاهد يوم القيامة في نهاية قصة إبراهيم -عليه السلام- وهو قول الله تعالى :﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝٩١ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [٤] وهذا إنما هو واقع يوم القيامة، يقول ابن كثير: "أي قربت الجنة وأدنيت من أهلها يوم القيامة و أُظْهِرَتْ النار وكشف عنها" [٥] ونبي الله هود -عليه السلام- يقول لقومه:﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [٦] وهو يوم القيامة.

الهدف الرابع: الإيمان بالقدر، وذلك حينما توعد فرعون السحرة بعد إيمانهم القاهر، ولجأ إلى التهديد البغيض بالعذاب والنكال،

فلم تعبأ الفئة المؤمنة هذا الطغيان، ولم تعد تحفل العذاب، فصدعوا بما يُنْبِئُ عن إيمان بقضاء الله وقدره قائلين:﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [٧] وحينئذ قالوا لفرعون: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [٨] .

المطلب الثاني: المقومات الأخلاقية:

إن المقومات الأخلاقية هي: القانون الأساسي الذي يمثل محور قيام الحضارة الإنسانية، فالأخلاق هي النوع الذي يوصل إلى الفضيلة التي تمثل دعائم رقي المجتمعات الإنسانية.

وبناء الحضارة يتطلب مجموعة متكاملة من القيم الرفيعة التي تحقق النفع المادي والمعنوي في كافة مناحي الحياة، مما يؤدي إلى التطور الحضاري المنشود للبشرية

---

[١] سورة الشعراء، الآيات:١٩٢- ١٩٤.
[٢] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، جـ٤صـ١٤٩.
[٣] سورة الشعراء، الآيتان:٨٧، ٨٨.
[٤] سورة الشعراء، الآيتان:٩١، ٩٢.
[٥] تفسير القرآن العظيم، جـ٦صـ١٥٠.
[٦] سورة الشعراء، الآية:١٣٥.
[٧] سورة الشعراء، الآية:٥٠.
[٨] سورة طه، الآية: ٧٢.

،فتسعد، وتعمر الأرض. ولهذا كان من أهداف سورة الشعراء، الدعوة إلى أمهات الأخلاق، وهو واضح من خلال قصص هذه السورة، وحوار الأنبياء مع أقوامهم، والتزامهم –عليهم السلام– بالمنظومة الأخلاقية، دعوة، وسلوكًا، وتطبيقًا، هو منهج الأنبياء والصالحين في بناء المجتمعات الإنسانية.

وبناءً على هذا التفسير تبين لنا أن دعوة الأنبياء كانت دومًا تعتمد منهجًا أخلاقيًا واحدًا، هو المتعارف عليه في إصلاح المجتمعات، والارتقاء بالأمم والشعوب.

ومن المقومات الأخلاقية في سورة الشعراء:

١. **الإصلاح**: ضدد الإفساد، والإصلاح مهمة ووظيفة الأنبياء والمرسلين، وهذا ما نطق به نبي الله شعيب عليه السلام حينما قال لقومه: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [١] وتستقيم الحياة، وتنضبط المجتمعات بالإصلاح، وتسقط الأمم والمجتمعات بالفساد،

ولهذا نجد كل نبي دعا قومه إلى الإصلاح، حتى يكونوا في مأمن من عقاب الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ [٢] فهو قوام بقاء المجتمع الإنساني، فصالح عليه السلام يقول لقومه:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٥٠ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [٣] فقد وصفهم بالإفساد في الأرض إفساد محض، ليس لهم فيه قصد بالإصلاح، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله:"الذين وصفهم ودأبهم الإفساد في الأرض بعمل المعاصي والدعوة إليها إفسادًا لا إصلاح فيه وهذا أضر ما يكون لأنه شر محض" [٤] والإصلاح في الأرض بتعميرها بطاعة الله، والعمل على جلب المصالح ودرء المفاسد.

٢. **الأمانة**: خلق واسع الدلالة، مناطه شعور المرء بتبعية ما اسند إليه على المستوى الفردي، وعلى المستوى الجماعي، وفي العديد من جوانب الحياة، وتعد الأمانة من أهم الدعائم، والمقومات التي ترتقي بالأمم والشعوب، وتحافظ على الحضارات من السقوط، وتعكس مدى تقدمها وتطورها، أليس بها تصان حقوق الفرد والجماعة، وتحفظ الأعراض؟ وبالتالي يتحقق الإصلاح والصلاح

---

[١] سورة هود، الآية: ٨٨.
[٢] سورة هود، الآية: ١١٧.
[٣] سورة الشعراء، الآيات: ١٥٠-١٥٢.
[٤] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٥٩٦.

لدى الأمم، فيعم الأمن والطمأنينة في المجتمع، ويتخلص أفراده من الأنانية، وحب الذات.

ولما كانت الأمانة مرتكزًا أساسيًا لصلاح المجتمعات، والنهوض بالحضارات، كانت صفة من الصفات الخُلقية التي وصف الله بها عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [١] .

ولأهمية هذا الخلق، جاء على لسان أنبياء الله ورسله في سورة الشعراء، أن كل منهم قال لقومه:﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [٢] ليعلم أن هذه الصفة لا يتصور ألا تكون في أحد من المرسلين، فمقام النبوة لا ينالها إلا أمينًا، معلوم الأمانة عند قومه.وفي نهاية سور الشعراء، يصف ربنا تبارك وتعالىجبريل-عليه السلام-بهذا الخلق، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [٣] وهو أمين على ما نزل به، حفيظ عليه.

٣. **المساواة ونبذ العنصرية:** فالمساواة هي: عدم التميز بين الناس على أساس معايير واعتبارات زائفة فاسدة، كالعرق، والجنس، واللون، والغنى والفقر، وعدم التفرقة بينهم في الحقوق والواجبات؛ لكفالة حق الحياة.

والعنصرية: إحداث تفرقة بين الأمم والشعوب؛ لضمان السيادة والاستعلاء المزعومين، وإذا ما توغلنا في الحضارات القديمة، لوجدنا أن العنصرية والطبقية، كانت هي آفة كثير من الحضارات البائسة، وحتى في العصر الحاضر، مازالت هذه المشكلة تتحدى الإنسانية، تلك الداء الذي يهدم مبدأ المساواة.

وحينما نتدبر الحوار الدائر بين الأنبياء وأقوامهم، ندرك أن البشرية لا تنقسم في تقدير رسل الله إلى أجناس وألوان، وشعوب وقبائل، وغني وفقير، إنما تنقسم إلى أهل الحق، وأهل الباطل، إلى تقي بار، وكافر فاجر، وهكذا يتوحد المعيار على مدار التاريخ البشري، وترتفع القيم فوق العصبية المقيتة، ويصبح الإيمان هو المقوِّم للحضارة الإنسانية.

هذا التوجيه إلى المساواة، مطرد في سورة الشعراء، فالتعبير القرآني الدقيق بعبارة"الأخوة"في حوار الأنبياء مع أقوامهم، يقتضي أن يقود تلك الحضارة إلى مبدأ المساواة،ففي حوار نوح مع قومه قالواله:﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [٤] وهم يعنون بالأرذلين الفقراء، والمستضعفين من المؤمنين، ثم هم في النهاية،

---

[١] سورة المؤمنون، الآية:٨.

[٢] سورة الشعراء، الآيات:١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨.

[٣] سورة الشعراء، الآية:١٩٣.

[٤] سورة الشعراء، الآية:.١١١

سقطت قيمهم الزائفة، ودمرت مجتمعاتهم الفاسدة، وذلك بسوء أخلاقهم، وليكن ذلك عبرة للأمم من بعدهم.

وفي نهاية السورة يلفت الخطاب إلى رسول الله -ﷺ- يحذره من هذا الداء - وهو أبعد من يكون عنه- ليلتزم غيره، ويكلفه ربه بالتواضع، ولين الجانب لمن تبعه من المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [1] يقول ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية:"ألن جانبك لهم، وخفض الجناح عبارة عن: السكون، وترك التعصب" [2] .

٤. **التراحم**: هو قوام حياة الأمم، ولو لم يتراحموا لهلكوا، والتراحم هو موضع العبر في قصص السورة جميعًا، وذلك حين نتأمل حرص المرسلين على إيمان أقوامهم، خوفًا عليهم من الهلاك.

فمع ظلم فرعون، وعتوه، وجبروته، يمضي موسى-عليه السلام- في مهمته لإنقاذ بني إسرائيل، وإطلاق صراحهم؛ ليعبدوا ربهم ، ويوحده.

وإبراهيم -عليه السلام- يدعوا لأبيه رحمة به، وخوفًا عليه، قال تعالى: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [3] على الرغم مما لقيه من أبيه من غليظ القول، وبالغ التهديد، وأنبياء الله: نوح، وهود، وصالح، ولوط، يشير القرآن إلى صلة الأخوة الداعية إلى خلق التراحم، فيما بينهم وبين أقوامهم.

ويأتي التعقيب المعهود في نهاية كل قصة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [4] الرحمة وصف ومن آثارها جميع الخيرات في الدنيا والآخرة من حين أوجد الله العالم إلى ما لا نهاية [5] والرحم هو ذو الرحمة للمؤمنين، وبرحمته سبحانه أرسل إلى البشرية الرسل لهدايتهم من الضلالة، وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، ومكن لهم أسباب معاشهم، وبناء مجتمعاتهم.

وبناءً على ذلك نستطيع أن نقول إن سورة الشعراء حوت أمهات الأخلاق: الفعلية والقولية، ووضحت السورة الكريمة أن الأخلاق هي سبب رقي الأمم، وسعادة الشعوب، والرذيلة هي سبب الشقاء الاجتماعي، والدنو الحضاري.

---

[1] سورة الشعراء، الآية:٢١٥.

[2] زاد المسير ، ابن الجوزي، جـ٢صـ٥٤٣، تحقيق/عبد الرزاق المهدي،ا لطبعة الأولى ١٤٢٢هـ،دار الكتاب العربي، بيروت.

[3] سورة الشعراء، الآية:٨٦.

[4] سورة الشعراء، الآيات:٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١.

[5] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، صـ٥٩٧.

المطلب الثالث: العبادات القلبية:

لما كان مفهوم العبادة هو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأفعال، والأعمال الباطنة والظاهرة كانت العبادة القلبية هي التي محلها القلب، ويظهر آثارها على أعمال الإنسان، وأقواله الظاهرة، وهي أعمال دافعة للبشرية، وموقظة للإنسانية، وضمان للحضارات من الانهيار، ولقد أبرزت القصة القرآنية هذا الجانب في كثير من المشاهد،

وحسبنا ما جاء في سورة الشعراء، **ومن ذلك ما يلي:**

أولًا: التقوى: وهي اسم جامع للخير كله من الإيمان والعمل [1] وعبادة التقوى في سورة الشعراء من عناصرها الأساسية، والتوجيه إلى هذه العبادة القلبية مطرد في قصص هذه السورة:

أ-قال الله عن فرعون وقومه ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [2] ألا يتقون مخالفة أمر الله ونهيه، ونقمته وعقوبته، فيصرفونها عن أنفسهم بطاعته، وقد يكون المعنى: ألا تتقون عبادة غير الله وتوحدونه، وهذا استفهام انكاري عن حالهم، وتوبيخ لواقعهم وحث لهم إلى المبادرة، والفرار إلى الله، وتعجب من جراءتهم على الله، وإفراطهم في الظلم، ويأليتهم استجابوا لله ورسوله، ولكن قلوبهم قد خلت من آثار التقوى، فحق عليهم قول ربنا:﴿أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [3] ظلموا أنفسهم بتعديهم على الخصائص الإلهية، فأصابهم العذاب، وانهارت حضارتهم.

ب-كل الرسل أمروا أقواهم بتقوى الله تعالى.

قال تعالى ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[4] فالطاعة لله ولرسله، أما التقوى فهي خاصة بالله تعالى وقد تكررت هذه الآية على ألسنة الرسل وذلك للتأكيد على أهمية هذه العبادة، قال أبو حيان:"ثم كرر الأمر بالتقوى والطاعة، ليؤكد عليهم، ويقرر ذلك في نفوسهم" [5] .

وخلاصة القول:أن من هدايات سورة الشعراء، أنها تقرر أن الحضارة الإنسانية، ينبغي أن تؤسس على تقوى الله، وتقوم على طاعته وهداه، وأن التمكن في الأرض لأي حضارة مرهون بهذه العبادة القلبية.

---

[1] الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، مكي ابن أبي طالب، جـ٨ص٥٢٨١.

[2] سورة الشعراء، الآية:١١.

[3] سورة الشعراء، الآية:١٠.

[4] سورة الشعراء، الآيات:١٠٨، ١١٠، ١٢٦، ١٣١، ١٤٤، ١٥٠، ١٦٣، ١٧٩.

[5] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، جـ٧ص٣٠، تحقيق/ صدقي محمد جميل، طبعة سنة ١٤٢٠هـ، دار الفكر - بيروت

ثانيًا: التوكل على الله: إن من لوازم الإيمان، التوكل وهو من أعمال القلوب، فإذا ما توكل العبد كان في معية الله، فهو الإقبال على الله بالكلية، والإعراض عما دونه، وفي نهاية سورة الشعراء، يوجه ربنا ﷻ الخطاب لرسوله ﷺ قائلًا له:﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (١) والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار.

وهود –عليه السلام– من قبل أعلنها صراحة لقومه، وقال لهم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (٢) وهي حجة بالغة، ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وبان باستحقاق الله العبادة وحده لا شريك له، "وما من شيء إلا تحت ملكه، وقهره، وسلطانه" (٣) .

ومما يطمئن المتوكل ويؤنسه، أن من يتوكل عليه هو العزيز، ومن عزته أنه أهلك الأمم الطاغية، وأسقط الحضارات الإنسانية الظالمة، وفي الآيات تقرير بألوهيته سبحانه، وإبطال إلهية ما سواه، وهو محور هذه السورة.

ثالثًا: الإخلاص والصدق مع الله: وهو أن يكون العمل لله، وليس فيه شائبة مادية أو معنوية، فالقصد والهدف ابتغاء الأجر والمثوبة من الله تعالى، وهذا هو منهج الأنبياء في دعوتهم مع أقوامهم، فهم لا يطلبون أجرًا على نصيحتهم وهدايتهم، ولا يريدون جزاءً ولا شكورًا، وكل واحد من الأنبياء الذين ورد ذكرهم في سورة الشعراء يقول لقومه:﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (٤) .

ولعل الإنسانية تتعلم من رسل الله العطاء، والبذل، والتضحية، وعدم حب الذات، والتجرد من الأنانية، إلى غير ذلك من الفضائل الإنسانية التي توقظ الهمم، وتجدد طاقات الأمم؛ لبناء مجتمعات عامرة، وحضارات متماسكة ومتلاحمة، يقول شيخ الإسلام:" وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص له والتوكل عليه إلى غير ذلك من الأحوال فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان" (٥) .

رابعًا: الخوف من الله: إن من العبادات القلبية الخوف من الله،وهو من الإيمان، والخوف من الله بسبب معرفة العبد ربه، ومدركًا صفاته،

---

(١) سورة الشعراء، الآية:٢١٧.

(٢) سورة هود، الآية:٥٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، جـ٤صـ٣٣٠

(٤) سورة الشعراء، الآية:١٠٩.

(٥) مجموع الفتاوى،شيخ الإسلام،جـ٧صـ٦٧٢، طبعة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، مجمع الملك فهد – المدينة المنورة – السعودية.

وأنه قادر على إهلاك العالمين، ولا ينازعه في ذلك منازع﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [1] .والخوف من الله هو حال الأنبياء والمرسلين في قصص سورة الشعراء، وهو حال المصلحين في كل مجتمع؛ لأنه وقاية للأمة من الانهيار، فلوط –عليه السلام– يتوجه إلى ربه متضرعًا إياه أن ينجيه وأهله مما سيحل بقومه من التدمير والهلاك، قال تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [2] على الرغم أنه لا يعمل عملهم، لكنها الفطرة الصادقة، والشعور بأنه ذنب عظيم مهلك، وهو فيهم، وأهله هي أمته المؤمنة.

وعلى المجتمع الإنساني أن يعي أنه ليس بمنأى من العقاب وفيه المفسدون، وعليه أن يأخذ على أيديهم، وأن يرفض ويكره ما هم عليه، حتى لا يعمهم الله بالعقاب.

ومن الشواهد على هذه العبادة، قول هود –عليه السلام– لقومه:﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [3]

وهذا تعليل لإنكار عدم تقواهم، وللأمر بالتقوى، فالأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده [4] . وفي التعقيب الأخير من سورة الشعراء، وبعد إنذاره–ﷺ– وتخويفه من الشرك، يكلف بإنذار أقاربه وأهله، ويخوفهم،

فتلقى النبي –ﷺ– الأمر وبلغه لعشيرته وأهله، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [5] وهم بنو هاشم، وبنو عبدالمطلب، وقد أنذرهم جهارًا [6] ليكونوا أسوة لغيرهم، وليعلم المجتمع أن قرابة هؤلاء للرسول–ﷺ– لم تنجيهم من عذاب الله ما استمروا في غيهم وضلالهم وظلمهم.

ومن هدايات هذه الآية: الدلالة على أن كل إنسان مرهون بعمله وطاعته هو، وما قدمت يداه، ولا يوجد وساطة أمام القضاء الإلهي،

وهذا هو منهج الدين الإسلامي في نصاعته ووضوحه وشفافيته، وهو ركن عقدي، وواقع تطبيقي كفيل بإصلاح المجتمع الإنساني.

---

[1] سورة الأنبياء، الآية:٢٣.
[2] سورة الشعراء، الآية:١٦٩.
[3] سورة الشعراء، الآية:١٣٥.
[4] التحرير والتنوير، جـ١٩صـ١٧٠.
[5] سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.
[6] صحيح البخاري، جـ٤صـ١٧٨٧، كتاب: التفسير باب: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾

المبحث الثاني: عوامل تدهور الحضارات الإنسانية في ضوء الهدايات

المطلب الأول: الانحرافات العقدية:

في البداية لابد أن نعي أن انهيار الحضارة وتدهورها جزء من السنن الكونية، وأن الله -ﷻ- جعل لكل حضارة أجلًا معلومًا مقدرًا، وغاية محدودة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴾ [1] .

وكل مرهون بعمله،وعندما تبلغ أي حضارة أجلها، وتنتهي إلى ما قدر لها، وتقام عليها الحجة،تنفذ مشيئته وإرادته فيهم، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴾ [2] وهذا التعبير يلمس القلوب والأفئدة لمسة قوية، وهو يستطرد المصير النهائي للحضارات الإنسانية، كما قدر الله في علمه وقضائه، فالمجتمعات البشرية بين أمرين: إما الانتهاء إلى الموت والهلاك قبل يوم القيامة، حتف أنف الإنسان، وإما العذاب الذي يعقبه الهلاك إن تعدت حدود الله.

قال أهل العلم في هذه الآية الكريمة حذف الصفة:" في هذه الآية الكريمة حذف الصفة، أي وإن من قرية ظالمة إلا نحن مهلكوها... وغاية ما في هذا القول حذف النعت مع وجود أدلة تدل عليه" [3] .

إن أمر البشر في اجتماعهم وما يعرض فيه من مصارعة الحق للباطل وما يتبع ذلك من الحرب والنزال والملك والسيادة وغير ذلك قد جرى على طرق قويمة وقواعد ثابتة اقتضاها النظام العام [4] .

وقد جاء ذكر السنن الإلهية في مواضع عديدة من الكتاب العزيز، لتدبر الإنسانية ما بها من هدايات وقوانين ثابته لا تتبدل، لعلها تبصر سبيل الرشاد، وتدرك خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق، قال الله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [5] .

---

[1] سورة الحجر، الآيتان:٤ ،٥.

[2] سورة الإسراء، الآية:٥٨.

[3] الأساليب والإطلاقات العربية، محمود المنياوي، ص٦٧، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، المكتبة الشاملة، مصر.

[4] تفسير المنار، جـ٤ص١١٥.

[5] سورة آل عمران، الآية:١٣٧.

يقول الشيخ محمد عبده: "والعلم بسنن الله-تعالى-من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن سجل في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مَأْخَذِهِ من أحوال الأمم، إذ أمرنا أن نسير في الأرض ؛لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها" [1] .

وحين يذكرنا القرآن بأحوال الأمم، وكيف جرت عليهم السنن في الكون، إما من ازدهار للحضارات أو انهيار لها، وذلك على سبيل العبرة والعظة من أحداث التاريخ ووقائعه؛ ليكون تاريخ الإنسانية نفسه مجالًا رحبًا للعقل يتعرف منه على أساس رقي الحضارات وأسباب تدهورها، لعل الإنسان يعي العبرة من هدايات قصص القرآن الكريم لهذه السنن وعلاقتها بالأفراد والجماعات والمجتمعات [2] .

إن العقل البشري عليه أن يقوم بواجبه الذي ندبه القرآن إليه، وأمره به، وهو النظر والتدبر في السنن الإلهية والوقوف معها طويلًا بما وهبه الله من أدوات تؤهله للتعرف على الكون، والنهوض به؛ لتحقيق مصالحه، واتقاء أسباب الانهيار والتخلف، ولكي تتكامل المعرفة أمام العقل، فإن ذلك لا يتم له إلا بنور الوحي الإلهي حيث يقدم للعقل ما عجز عن تفسيره، وإدراكه، وتوظيف ذلك لصالح المجتمع الإنساني. إن أي حضارة عرضة للتدهور والسقوط، عند غياب المقومات الأساسية للفعل الحضاري، وليس هناك مبررات مقبولة عند نزوعها الإيماني، بل إن استمرار أي حضارة مرهون بما تؤديه كل أمه وفق الضوابط والمعايير الإلهيه، وإلا ستواجه الحضارة مصيرها المقرر، وليس هناك محاباه او حصانة لأي أمة، قال تعالى:﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴿٣٧﴾هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [3] .

فهناك مقدمات معلومة تقود إلي نتائج معروفة،قال تعالى:﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [4] وهذا لا يكون إلا بعد استهلاك الوقت،واستنفاذ كافة أبواب البقاء والنهوض

*التدهور هو: السقوط والإدبار، تقول دهور الحائط دفعه فسقط، وتدهور الليل إذ أدبر [5]

---

[1] تفسير المنار، جـ٤صـ١١٥.

[2] الوحى والإنسان، قراءة معرفية صـ٧٣ محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة، القاهرة

[3] سورة آل عمران، الآيتان:١٣٧، ١٣٨.

[4] سورة محمد، الآية:٣٨.

[5] المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، جـ٤ صـ٢٥٦، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية - بيروت

وتدهور الرمل: انهال وسقط أكثره [١] .

والانهيار مصدر وهو: السقوط والتبدد والضياع، قال تعالى:﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [٢] وانهار: انهدم، والتهور: الوقوع في الشيء بقلة مبالاة [٣] وانهارت دولته: سقطت وانحلت، وهكذا الحضارة بعد أن تبلغ أوج تقدمها ورقيها، فتهب عليها عوامل الانهيار، وينخر في جسدها داء التدهور حتى يدركها الخراب. ولعل من أهم عوامل التدهور، وأسباب الانهيار في قصص سورة الشعراء ما يلي:

أولًا: الكفر بالله، والشرك به: الكفر في اللغة: الستر والتغطية، والجحود، والكافر يستر الحق بجحوده [٤] وينكر الإيمان والتوحيد ويجحدهما [٥] .

وفي الاصطلاح: الكفر ضد الإيمان وهو الجهل بالله ﷻ والتكذيب له الساتر لقلب الإنسان عن العلم به، فهو كالمغطى للقلب من معرفة الحق [٦] يقول ابن الوزير اليمني:" واعلم أن أصل الكفر هو التكذيب المتعمد لشيء من كتب الله تعالى المعلومة أو لأحد من رسله عليهم السلام أو لشيء مما جاؤوا به إذا كان ذلك الأمر المكذب به معلوما بالضرورة من الدين ولا خلاف أن هذا القدر كفر ومن صدر عنه هو كافر [٧] .

والشرك في اللغة هو: مقارنة وخلاف انفراد، يقال: شركه في الأمر وأشركه شركًا وشركة إذا صار له شريكًا [٨] .

والشرك في الاصطلاح هو أن يجعل المرء لله شريكًا في ربوبيته [٩] وأصل الشرك أن تعدل بالله مخلوقاته في بعض ما يستحق وحده [١٠] .

---

[١] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، جـ١ صـ٢٩٩، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة

[٢] سورة التوبة، الآية:١٠٩.

[٣] مختار الصحاح، صـ٣٢٩

[٤] مجموع الفتاوى، مجلد ٧ صـ٥٤٨

[٥] شرح العقيدة الطحاوية، الشيخ عبدالله ابن جبرين، جـ ٩صـ٥.

[٦] تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، الباقلاني، صـ٣٩٤، تحقيق/ عماد الدين حيدر، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، مؤسسة الكتب الثقافية — لبنان.

[٧] إيثار الحق، ابن الوزير اليمني، صـ٣٧٦، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية – بيروت.

[٨] مقاييس اللغة، ابن فارس، جـ٣صـ٢٦٥، المفردات في غريب القرآن، الراغب، صـ٤٥١.

[٩] تهذيب اللغة جـ١٠صـ١٢

[١٠] الاستقامة، ابن تيمية،جـ١صـ٣٤٤، تحقيق د/محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام، المدينة المنورة.

ويعتبر الكفر بالله عاملًا أساسيًا في انحلال المجتمع وتفككه وتدمير الحضارات الإنسانية وفنائها، وهذه نتيجة حتمية للأعراض عن الإيمان بالله، والكفر يدفع أفراد المجتمع نحو الهلاك؛ لكونه لا يحمل أسباب الحياة الذاتية، ومن يقرأ سورة الشعراء، ويستعرض قصصها يدرك أوجه الدمار الذي حلَّ بتلك المجتمعات الكافرة.

ومن نماذج الانحراف والضلال"فرعون"ذلكم الطاغية الذي تطاول بكلماته الكافرة،وعباراته الفاجرة، فقال مرة لقومه:﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [1] وقال لموسي عليه السلام:﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [2] إلى أن وصل به الجهل والغرر فقال صراحة: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [3] .

فهذه صورة من صور البشرية العنيدة، ولقد استخف فرعون بقومه فأضلهم، وأعمى أبصارهم، فأوردهم الكفر والضلال، فظلموا أنفسهم من جهتين: من جهة ظلمهم لأنفسهم بالكفر، ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم،قال تعالى:﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [4]

أي حررهم وأطلقهم من أساورك وقبضتك، وفي الأحداث الأخيرة لهذه القصة يعجل السياق بعاقبة الكافرين، وبما آل إليه هذا المجتمع جراء الظلم بعد المقام الكريم الذي تمتعوا به دهرًا طولًا، وبقي هلاك فرعون وملئه آية في الزمان، وعبرة تتحدث عنها القرون،

وإن هذا المثال لكفيل بأن يوقظ المجتمع الإنساني من غفلته ليتأمل مصير المشركين، ويتصور مصارع الغابرين.

ومن نماذج الانحراف والضلال قوم إبراهيم-عليه السلام-قال تعالى:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ [5]

فقد صرحوا بشركهم كأنهم يفتخرون بعبادتهم الفاسدة

ولقد ضل هؤلاء التقليد الأعمى، والتحجر الذي يصيب المعطل لعقله، وتمضي الآيات وتسجل البأس الذي لحق بهذا المجتمع من كبكبة وما تحمله الكلمة من معاني الانهدام والانهيار لهذا المجتمع الضال.

---

[1] سورة القصص، الآية:٣٨.
[2] سورة الشعراء، الآية: ٢٩.
[3] سورة النازعات، الآية:٢٤.
[4] سورة الشعراء، الآية:١٧.
[5] سورة الشعراء، الآيات:٦٩-٧١.

وفي إجمال سريع تنقل لنا سورة الشعراء تجربة أخرى من تجارب المجتمع الإنساني المستكبر عن الحق، المعرض عن دلائل الهدى، وموجبات الإيمان، وذلك من خلال قصة قوم نوح الذين اتخذوا لهم أصنامًا آلهة، وكذبوا الرسل، ويئس منهم رسولهم ولجأ إلى ربه،

فكانت دعواته هي الماحقة الساحقة لهذا المجتمع الإنساني المنحرف.ثم عاد الكفر وطل بوجهه مرة أخرى، فزاغت قلوب عاد، فأرسل الله إليهم هود-عليه السلام- فأنكر عليهم، وأمرهم بالتقوى، فما كان منهم إلا أنهم أنكروا دعوته بالتكذيب والاستكبار، فكان هلاكهم من جنسهم.

وبعد عاد نبي الله صالح-عليه السلام- يواصل الجهود النبيلة لهداية قومه ثمود الذين كانوا يعبدون الأصنام، والذي صرفهم عن الحق هو الجمود والتحجر والتقليد للآباء، ولم تغيرهم الآية والمعجزة، ولم تجر الإيمان في هذه القلوب الجافة، بل عقروا آية ربهم فكان جزاؤهم كما قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [1] ويأتي من بعدهم قوم لوط-عليه السلام-ويحتمل منهم ما كان من سائر الأمم من تقليد آبائهم في عبادة الأصنام [2] وكانوا قومًا مسرفين في جمعهم إلى الشرك ارتكاب الفاحشة، فدمر الله ديارهم الفاسدة، فكان عقاب هذه القرية، ما أخبر به ربنا في قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [3] . ويختم قصص سورة الشعراء بمايدين قوم شعيب-عليه السلام- وكانوا كفارًا يقطعون السبيل، ومع كفرهم كانوا مفسدين، منحرفين في معاملاتهم المالية، يطففون الكيل والميزان، ويبخسون الناس أشياءهم.

من هدايات سورة الشعراء في هذا العامل:

١. لن تبلغ البشرية آفاق الكمال بأي وسيلة كانت إلا باستقرار الإيمان بالله تعالى في نفوس الناس، وحتى يكون التوحيد هو القاعدة التي تجمع المجتمع الإنساني، وتقوم عليها الحضارة المتلاحمة.

٢. ضرورة تقديم عاقبة الكفر والإشراك بالله رب العالمين، للغافلين والمعرضين والمفتونين بهذه الحضارة المادية، وإقامة لهم الحجج وفق هدايات قصص سورة الشعراء.

---

[1] سورة الشعراء، الآية:١٧٣.

[2] التيسير في التفسير، النسفي، جـ٦ص٤١٨ تحقيق/ ماهر أديب وآخرون، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ دار اللباب، تركيا.

[3] سورة الشعراء، الآية:١٥٨.

٣. عظم حلم الله تعالى حيث لم يعجل العقوبة للمخالفين مع شناعة ما فعلوه، وقبح ما صنعوه.

٤. إن من أسباب الانحراف العقدي، الجهل بالحق، ومتابعة الآباء، وتقليد الأقدمين بدون حجة وبيان وتحري.

٥. ضرورة الرد على المعتقدات الباطلة، والدعاوى الزائفة، وتفنيد الحجج الواهية، والأفكار الساقطة.

٦. حرص المرسلين على إيمان أممهم، وسلامة مجتمعاتهم، وعلى الدعاة في كل عصر مواصلة الدرب، ومتابعة السير، ومجابهة الصعاب في سبيل إصلاح المجتمع.

النتيجة النهائية: الكفر هو السبب الرئيس في زوال النعم، وتدهور الأمم، وزوال الحضارة الإنسانية، ولا سبيل للنجاة إلا بالإخلاص والتوحيد.

ثانيًا: تكذيب المرسلين:لقد أشارت سورة الشعراء في مقدمة قصصها، أن كل أمة كذبت رسولها فقد كذبت جميع المرسلين، قال تعالى:﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [١] وهكذا،،، ونزّل الله تكذيبهم لرسوله منزلة تكذيبهم جميع الرسل؛ لأن الرسالة والدعوة واحدة.

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي:"جعل تكذيب نوح كتكذيب جميع المرسلين؛ لأنهم كلهم اتفقوا على دعوة واحدة، وأخبار واحدة، فتكذيب أحدهم تكذيب ما جاء به من الحق" [٢] .

وهذا التكذيب المكرر مع الرسل يدعو للتعجب من أحوال تلك الأمم﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ولكن كيف ذلك ولم يجمعهم زمان واحد حتى يوصي بعضهم بعضًا؟ وهذا ما جعل القرآن يضرب عن هذا التوقع، بل لعل السبب هو تقارب القلوب في الكفر والطغيان، وتشابه الأفئدة في الفسق والعصيان، وتعارف الأرواح في الخبث والحقد، والنتيجة الطبيعية التي تترتب على ذلك، أن تواطأت الألسن، واتحدت الكلمة على هذا القول المنكر.

وعلى سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذبة لرسل الله، المشركة بالله، كان كفار قريش، فقد تضمنت مقدمة السورة قول الله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [٣] وهذه الآية تعطي تصورًا لما واجهه النبي-ﷺ-وعاناه من تكذيب قومه، لعلمه بمصير المكذبين، حتى إن نفسه لتذوب عليهم

---

[١] سورة الشعراء، الآية:١٠٥.

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، صـ٥٩٤.

[٣] سورة الشعراء، الآية:٣.

ومن هدايات سورة الشعراء في هذا العامل، ما يلي:

١. إن تكذيب الرسل سنة مطردة في الرسالات كلها، وليست الرسالة الخاتمة بدعًا من الرسالات.

٢. إن مصارع المكذبين لرسل الله شاهدة على سوء العاقبة،وشاخصة للعبرة والعظة، حتى لا تتكرر المأساة.

٣. إن سنة الله في تدمير المكذبين لا تتخلف، ولا تتبدل، وعلى الإنسانية أن تعتبر بما قصه ربنا تبارك وتعالى وصوره عن تلك الآبار المعطلة، والقصور الخاوية، والدور الموحشة.

٤. لقد أملى الله للمكذبين، ولم يكن الإملاء منجيًا لهم من السنة المطردة، قال تعالى:﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [١].

٥. لعل الأحزاب في كل زمان، أن تعي تلك الدروس،وتستوعب هذه الأحداث، وتشعر بسوء عاقبة المكذبين.

٦. إن النظر والاعتبار في أحوال الأمم، وعواقب الأقوام التي كذبت رسل الله، مطلوب شرعًا أثناء السير في الأرض، وكذلك رؤية الآثار، وسماع الأخبار؛ لنستديم ما فيها من الهداية، والموعظة على أكمل وجه.

ثالثًا: الفساد والظلم: لقد نبهت سورة الشعراء إلى أن الفساد والظلم سبب في هلاك الأمم، وإبادة الشعوب، وتدهور الحضارة الإنسانية، وأن القوة والثروة لا تحول دون عقاب إذا استحقت ذلك بالفساد والظلم.

ففي مطلع قصص سورة الشعراء،أحداث ومجريات الطاغية المفسد"فِرْعَوْنَ"وما قام به من نكير، ولقد وصفه الله بقوله:﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [٢] لقد تجبر وتكبر، وقهر ونعى،وقتل واستعبد، وعلا بملكه وسلطانه، وتعالى عن عبادة ربه، فجاوز الحد في الظلم، فاستحق وصفه بالفساد والظلم، قال تعالى:﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [٣] ظلموا أنفسهم بالكفر، وظلموا بني إسرائيل بالذبح والتشريد، والنكال والاستعباد.

---

[١] سورة الحج، الآية:٤٨.

[٢] سورة القصص، الآية:٤.

[٣] سورة الشعراء، الآية:١٠.

ولقد نهى صالح عليه السلام قومه عن الخضوع للمفسدين، الذين وصفهم ودأبهم الإفساد في الأرض، بارتكاب المعاصي، إفسادًا لا إصلاح فيه، وهذا آخر ما يكون؛ لأنه شر محض [١] قال تعالى:﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [٢] والإسراف هو:تجاوز الحد في كل أمر، وبالمسرفين كبراءهم في الكفر [٣] فالإسراف منوط بالفساد.

ونهى شعيب-عليه السلام-قومه عن الفساد، وكانوا قد تولوا أنواع الفساد، فقال لهم:﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [٤] وأصل العثي: شدة الإفساد، وتجاوز الحد فيه، ونلاحظ أنه قد تكرر نهيهم عن النقص والبخس، وأمرهم بالوفاء؛ لأن القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح-وهو تطفيف الكيل والميزان، ومنع الناس حقوقهم- احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد.

ومن هدايات سورة الشعراء في هذا العامل، ما يلي:

١. إن الإفساد في الأرض من أسباب تدهور الأمم، وهلاك البشرية، قال مجاهد: إذا سعى في الأرض فسادًا: منع الله القطر، فهلك الحرث والنسل، والله لا يحب من هذا صفته، ولا من يصدر منه ذلك [٥].

٢. التحذير الشديد من كل فساد كان في أرض أو مال أو دين "وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ".

٣. على المفسدين في كل بقاع العالم، أن يحذروا عقاب الله-عز وجل-فإن السنن لا تتخلف، وعقاب الله لا يتأخر، ولا يظن مفسد أن سيكون بمنأى من العقاب عاجلًا أم آجلًا.

٤. للمصلحين في كل زمان ومكان، دورهم في الحفاظ على المجتمعات من الآثار السيئة، والعواقب الوخيمة التي يسببها الفساد، يقول محمد رشيد رضا:" قد يبلغ فيها الفساد درجة تستعصي فيها معالجته على أطباء الاجتماع،

---

[١] معالم التنزيل في تفسير القرآن،البغوي، ص٥٩٦،تحقيق/محمد النمر وآخرون،الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م،دار طيبة.

[٢] سورة الشعراء، الآية:١٥١.

[٣] روح المعاني، الألوسي،جـ١٠صـ١١٢، تحقيق/ علي عطية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت

[٤] سورة الشعراء، الآية:١٨٣.

[٥] تفسير القرآن العظيم، جـ١صـ٥٦٤.

ولكنها إذا تنبهت قبل انتشار الفساد فيها، وتبريحه بزعمائها ودهمائها، فقد يمكن أن يظهر فيها من أفراد المصلحين من ينقذها فيرشدها إلى تغيير ما بأنفسها من الفساد فيغر الله ما بها، وهو من استئخار الهلاك أو منعه عنها قبل مجيء أجلها" [1] إنهم يحولون بين مجتمعاتهم، وبين استحقاق النكال والهلاك.

٥. لقد أكدت سورة الشعراء، ما أجمع عليه علماء الاجتماع من أن الظلم والبغي بغير الحق، والغلو في المطامع في الأرض، كل ذلك من أسباب الهلاك والدمار،

وقد عقد ابن خلدون فصلًا سماه:" الظلم مؤذن بخراب العمران"وفيه:" أنّ حصول النّقص في العمران عن الظّلم والعدوان أمر واقع، ووبال ذلك كلّه عائد على الدّولة بخراب العمران الّذي هو مادّتها لإذهابه الآمال من أهله، واعلم أنّ هذه هي الحكمة المقصودة للشّارع في تحريم الظّلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النّوع البشريّ" [2] .

رابعًا: الترف والاستكبار:الترف هو التوسع في النعمة،وهو التنعم، والمترف: الذي أبطرته النعمة، أي أطغته، وهو أيضًا المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها [3] قال تعالى:﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [4] اتبعوا في دنياهم ما عُودوا من النعيم، وإيثار اللذات على أمر الآخرة [5] وقد بيّن العلامة ابن بارز ما ينتهي إليه أمر الترف، فيقول رحمه الله:" فالترف له عواقب وخيمة، وهو يفضي إلى غايات خطيرة بانتهاك محارم الله، والضعف عن أداء ما أوجب الله، واقتحام الحدود، وعدم المبالاة بخطر العقوبات، وبغضب الله عزَّ وجلَّ " [6] وهو ما أشار إليه قول الله تعالى:﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ﴾ [7] فقد ربط في هذه الآية الترف بالظلم والفساد في الأرض،، والتكاثر والاستطالة للتفاخر والرياء، والغرور بهذا الثراء المطغي، ولولا ذلك ما سماه عبثًا.

---

[1] تفسير المنار، جـ٨صـ٣٦٠

[2] المقدمة،ابن خلدون،جـ١صـ٤٧١-٤٧٩،تحقيق/عبدالله الدرويش،الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار يعرب-دمشق.

[3] المفردات في غريب القرآن، صـ١٦٦؛ لسان العرب، جـ٢صـ٣٠

[4] سورة الشعراء، الآية:١١٦.

[5] معاني القرآن، الفراء، جـ٢صـ٣١، تحقيق/ أحمد يوسف النجاتي، الطبعة الأولى، الدار المصرية.

[6] دروس الشيخ عبدالعزيز ابن باز، جـ١٣صـ٣

[7] سورة الشعراء، الآية:١٢٨.

وفي نفس الوقت هو إرشاد من القرآن للمجتمع الإنساني بأن يصرف الجهد، وتنفق الأموال فيما يعود بالنفع، لا لمجرد التباهي بالقوة، والسيطرة على مكتسبات الشعوب، والتحكم في خلق الله، ونشر الفساد، في الأرض.

هذا الترف هو الذي دعا قوم نوح أن يقولوا له:﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ [1] ويعنون بهم من دون طبقة الأشراف والأكابر، كالزراع، والصناع، والعمال.

وابن خلدون يسجل أضرار الترف، فيقول:" ومن مفاسد الحضارة الانهماك في الشّهوات لكثرة التّرف فيقع التّفنّن في شهوات البطن، ويتبع ذلك التّفنّن في شهوات الفرج، فافهم أنّ غاية العمران هي الحضارة والتّرف، وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد، وإنّ الأخلاق الحاصلة من الحضارة والتّرف هي عين الفساد" [2] .

ومن هدايات سورة الشعراء في هذا العامل، ما يلي:

١. الترف يورد الهلاك، ومدعاة الدمار، والفناء الاجتماعي، ولا نجاة للإنسانية منه إذا لم يقترن بعلم ودين.

٢. إن القوة المادية لا ينبغي أن تسخر للبطش، وظلم الشعوب،ونهب مكتسبات الأمم، والأجدر أن تستغل لخدمة البشرية،ونشر السلام الاجتماعي، وإن من العبث،أن ينفق الجهد،فيما يفسد ولا يصلح،ويضر ولا ينفع

خامسًا: الإعلام المضلل:إن الإعلام وسيلة نبيلة، ورسالة شريفة في إيصال كلمة الحق مجردة إلى الأمم والمجتمعات الإنسانية، وفق معايير وضوابط إيمانية تمنحه القدرة على تحري العدل المؤسس للسلام العالمي.

وفي المقابل نجد الإعلام المضلل، ذلكم الأبواق الذي لا تراعي إلا ولا ذمة في تغييب الأمم عن الواقع، وقلب الحقائق، ونشر المعلومات المضللة والمغلوطة، فلا توجد لديه قيم توجهه، ولا أخلاق مهنية تضبطه.

فالملأ من أقوام الأنبياء، وهم البطانة الذين يتصدرون المجالس في كل زمان ومكان، وأمام كل دعوة يقفون الموقف ذاته، لتقويض رسالة الأنبياء، والمصلحين، عن طريق الهالة الإعلامية المضللة للرأي العام.

---

[1] سورة الشعراء، الآية:١١١.

[2] المقدمة، جـ١صـ٤٩-٥٥

فأهل الرأي وأعضاء مجلس فرعون، وأصحاب المصلحة في استمرار الحال على ما هو عليه؛ حتى لا تتأثر مصالحهم، ويضعف نفوذهم، يقولون له: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [1] فلما وقعت المعجزة، وظهر الحق، أطلقوا الاشاعات المغرضة بأن ما جاء به إنما هو من قبيل السحر، محاولين بذلك الإعلام استمالة أفراد الأمة، وإن الواقع لربما شهد مثل هذه الحقائق التي أشار إليها القرآن الكريم. وفي العصر النبوي كان الإعلام ضرورة دعوية، وكان الشعر من آلياته ووسائله، فقد كان الشعر، هو الناطق الإعلامي الرسمي للقبائل، وكانت هذه الوسيلة الإعلامية لها دورها الفعال في المجتمع آنذاك.

ولما كان الشعراء لا يلتزمون المصداقية، ولا يطلبون بشعرهم الحق، جاء ذمهم، في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ [2] وصفهم بالغواية وهي: الضلال؛ وذلك لأنهم لم يلتزموا المصداقية في رسالتهم.

فالشعر وهو أحد وسائل الإعلام، مداره على الباطل، في الأقوال، والأفعال، وحقيقته العيش في الأوهام، والخيال،

وهذا يخالف منهج الإسلام، الذي دعا إلى العيش بواقعية؛ ليحقق الإنسان أهدافه، ولا يعيش في أضغاث أحلام.

فالمنهج الإعلامي في الشعر- بهذا الوجه- لم يكن ليتوافق مع منهج الإسلام، وأهدافه، ومع هذا فإن النبي-ﷺ-استطاع أن يوجه الشعر وجهة إسلامية، يتوافق مع مبادئ الإسلام، وغاياته، وعليه جاء الاستثناء القرآني من ذلك الوصف العام للشعر، فأصبح الشعر صوتًا إعلاميًا مسلمًا، يدافع عن الدعوة الإسلامية، ورسالة الإسلام السامية، وينشر الحق والسلام.

ومن هدايات سورة الشعراء في هذا العامل، ما يلي:

١. الإعلام وسيلة ذات أهمية كبرى في توعية المجتمع الإنساني، والنهوض به إلى الآفاق، ما إن استعمل بذاته، وتحرر من قيود التبعية، وحقق المعايير الأخلاقية، وميثاق الشرف المهني، وراعى حقوق الإنسان.

---

[1] سورة الشعراء، الآية:٣٦.

[2] سورة الشعراء، الآية:٢٢٤.

٢. قد يصبح الإعلام معول هدم، يؤثر على المجتمع، ويعرق مسيرته، وذلك في حال تحريفه للحقائق، ونشر الأكاذيب، وتضليل الرأي العام، وخلخلت عقائده، وبث الفتن والرذائل بين أبناء الأمة.

٣. توجيه الإعلام نحو مساره الصحيح، مطلب ضروري؛ ليقوم بواجبه نحو تعميق العقيدة الإسلامية في نفوس أبناء الأمة، ونشر الفضيلة؛ ليعمل الخير، ويرتقي المجتمع.

المطلب الثاني: الانحرافات السلوكية:

السلوك مصدر سلك، وهو سيرة الإنسان وتصرفه، واضطراب السلوك: نمط من الأنماط السلوكية السلبية.وانحرف عن السلوك القويم: زل وأخطأ وطاش [١] ،والسلوك هو: سيرة الإنسان وتصرفاته، وحسن السلوك: جعل التصرفات من الأقوال والأفعال وفق شريعة الإسلام [٢] .

والانحرافات السلوكية: ويعرف الانحراف السلوكي بأنه: عدم مسايرة أو مجاراة المعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع [٣] وهو: مخالفة المعايير والضوابط الاجتماعية المتعارف عليها والسائدة بين أفراد المجتمع.

وعندما تمارس الانحرافات باعتياد دون حياء، ويكون سمة بارزة للأمة كلها، فقد اتجه المجتمع كله نحو الهلاك.

ولقد عرضت سورة الشعراء قصة المنحرفين عن ناموس الكون، والمعتدين على الفطرة وهم قوم لوط عليه السلام فقد جنح المجتمع كله نحو الفواحش،وارتكاب الرذائل،فقد قال لهم نبيهم:﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [٤] فقد لمح لهم نبيهم بأن ما يقومون به من شذوذ لا يرمي إلى هدف، ولا يحقق الغاية التي من أجلها خلق الإنسان، ولا يتناسب مع القانون الكوني الإلهي، فالأمر متعرٍ عن الحكمة، وعن أسباب امتداد الحياة، والتي لا تكون إلا عن طريق الزواج؛ لإنجاب النسل.

---

[١] معجم اللغة العربية المعاصر، جـ٢صـ١٠٩٧، ١٤٣١، ١٣٥٤.

[٢] معجم لغة الفقهاء،محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي،صـ٢٤٩، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار النفائس.

[٣] علم النفس الجنائي، محمد ربيع ويوسف جمعة، صـ٤٥، طبعة سنة ٢٠٠٢م، دار غريب للطباعة، القاهرة.

[٤] سورة الشعراء، الآية:١٦٥.

فقد فسد المجتمع كله، واتجه إلى الرذيلة، وهي أبشع جريمة يمكن أن يصل إليها مجتمع، وهم الذين أوجدوها، وتفننوها بفطرهم الملوثة "وكونهم ابتدعوها وابتكروها من أبشع ما يكون أيضًا" [1] .وقد سمى ربنا -ﷻ- هذه الجريمة بعدة مسميات، ووصفها بعدة أوصاف، وهي:

١-**الفاحشة:** قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [2] .

أي الفعلة الشنعاء التي تستفحشها العقول والفطرة، وتستقبحها الشرائع.

٢-**الخبائث:**قال تعالى:﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [3] والخبائث التي كانوا يعملونها فاحشة اللواط التي اشتهروا بها دون أن يسبقهم إليها أحد

٣-**السيئات:** قال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [4]

وقد عبر القرآن عن هذا المنكر الذي يتعاطونه بالوصف المناسب له، دون أن يذكر اسمه، تقززًا له، وصيانة للأفواه أن تتلفظ به، وللأسماع أن تقع عليها، وللدلالة على أنه منكر غليظ مركب، وأنه ليس سيئة، بل سيئات، وليس منكرًا بل منكرات [5] وبالإضافة إلى إتيانهم الرجال، كانوا يقطعون الطريق، أي: يقفون في طريق الناس لأخذ أموالهم

إن هذا الانحراف السلوكي، لهو انتكاس للفطرة، يقول ابن القيم رحمه الله:" ولما كانت مفسدة اللواط من أعظم المفاسد، كانت عقوبته في الدنيا والآخرة من أعظم العقوبات" [6].

ولقد نكل الله بهؤلاء الظالمين نكالًا لم ينكله بأمة من الظالمين سواهم؛ وذلك لسوء عملهم، وفظاعة جرمهم.

وعلى المجتمع الإنساني اليوم، أن يعي هذا الدرس، وألا يسلك مسالك الهالكين، حتى لا تفسد المجتمعات ويتفكك العمران،

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٢٩٦.

[2] سورة الأعراف، الآية:٨٠.

[3] سورة الأنبياء، الآية:٧٤.

[4] سورة هود، الآية:٧٨.

[5] التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، جـ٦ص١١٧٨، دار الفكر العربي – القاهرة.

[6] الداء والدواء، ابن القيم، ص٣٩٢، تحقيق/ محمد الإصلاحي، الطبعة الرابعة ١٤٤٠هـ دار عطاءات العلم، الرياض.

وعندما تخترق أسوار القيم، ويهتز حصن الفضيلة، تسقط الدول﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [1] وعقاب الله قائم ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين، وعلى المجتمع المسلم أن يقوم بواجبه الأخلاقي بوازع من مسؤوليته الاجتماعية التي تأبى أن يهوى المجتمع الإنساني في براثن الرذيلة والانحراف.

ومن المحرمات الجماعية التي تحدثت عنها سورة الشعراء، المعاملات المالية المنحرفة، وهي الجريمة التي ارتكبتها "مدين" فقد كان شأنهم:

١-تطفيف المكيال والميزان، بأخذهم السلع بالغصب زائدًا عن حقهم.

٢-قطعهم الطريق ٣-البخس في المعاملات، وذلك ببيع الناس بأسعار مرتفعة، والشراء منهم بثمن أقل. فهذه الأمة غرقت في ظلمات الضلال، وانتكست عندها المعايير، والأخلاق الاجتماعية، وعصوا نبي الله وكذبوه، وأشركوا بالله، فعبدوا الشجرة من دون الله، إن هؤلاء القوم اتصفوا بالطمع، والجشع، والأنانية فمنعتهم هذه الصفات حسن المعاملة، وكان همهم ورغبتهم تقتصر على إشباع البطون، وجمع الثروات.

إن ما ارتكبته مدين من أقبح المعاصي، فهو دليل على تفشي الخيانة بين أفراد المجتمع الواحد، وانعدام الأمانة فيما بينهم، وفقد الثقة بين الناس، فاستحقوا على ذلك الذل والهوان، **نستفيد مما حدث لقوم شعيب:**

١. أن الظلم عاقبته الخسران المبين، وأن الاعتداء على الخلق، وقطع الطريق عليهم، ونهب ثروات الأمم والشعوب، وأكل أموال الناس بالباطل بأي طريقة كانت هو سبب تستحق عليه الهلاك الدمار.

٢. من أعظم الذنوب، وأكبرها وأشدها وأفحشها، أخذ ما لا يحق أخذه شرعًا من الأموال بالقهر والجبر.

[1] سورة القمر، الآية:٤.

المبحث الثالث: مظاهر الحضارة المادية الإنسانية في ضوء الهدايات

المطلب الأول: معالم الحضارة المادية:

إن الحديث حول هذا الموضوع يتطلب أن نشير إلى أن أهم ما يميز الحضارة أنها تتسم بصفة الإنسانية بما تحويه من معان تعلو بالإنسان وتسمو به عن غيره من المخلوقات.

وتتحقق هذه المعاني في ظل العقيدة التي ترسم للإنسان التصور الصحيح عن الحياة، وتضع له معالم النهوض الحضاري؛ ليندفع الإنسان نحو الحياة، فيبني مجتمع إنساني مؤسس على العدل والحرية والمساواة.

فالإسلام أسس حضارة قائمة على معايير، وضوابط تخدم البشرية، وتدفعها نحو الرقي، كان محورها الإنسان نفسه، الأمر الذي دفع المسلمون لا يلتفتون إلى غير هذا الهدف، فانصرفت همتهم إلى الفتوحات الإسلامية بهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور، غير مكترثين بمظاهر الحضارة المادية، القائمة على ظلم الشعوب والأمم، والتعدي على حقوق الآخرين، لقد استطاعوا أن يبنوا حضارة إنسانية يعمها الخير والصلاح وتسودها الأمن والرخاء، ويغلب عليها الطمأنينة.

والوحي الشريف اهتم بالإنسان، فهو مخلوق كريم، خلقه الله بيديه، ونفخ فيه من روحه، وجعله خليفته في الأرض، ودعله محور الرسالات السماوية، بما يحقق له الحياة الكريمة، وأوكل له مهمة إعمار الأرض، وإصلاحها، واستغلال ثرواتها، **وفي سبيل ذلك:**

-منح الله الإنسان العقل، وحال بينه وبين كل ما يعرقل انطلاقه وابداعه، وحرم عليه ما يعوق سيرته ويعطلها.

-وفي علاقته مع الآخرين، سن الإسلام له الأسس الأخلاقية، ونظم له القيم الفاضلة، ثم كرم الله الإنسان أيما تكريم حينما سخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه.

نستطيع أن نقول إذًا: إن الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية هدفها الإنسان بنيان الله، ولهذه الحضارة مقومات، وأسس، ومعان راقية، أما الحضارة المادية تنبع من نظرة الإنسان المادية، وما يحققه من مظاهر كمالية، تتمثل في البناء والعمران، وما يتبع ذلك من مظاهر ترفيهيه، وفنون بشرية.

ولقد تضمنت سورة الشعراء قصص لأمم بلغت النهاية في الحضارة المادية، ولكنها كانت خاوية من العقيدة والإيمان، فانحرفت الفطرة، وأهملت خصائص الإنسان، وامتهنت ذاته، وهو المؤسس لتلك الحضارات، فأصبح عبدًا لها وهو الذي صنعها، بيديه وفكره. ومن الحضارات المادية التي تناولتها سورة الشعراء، **ما يلي:**

أولًا: المظاهر المادية في الحضارة الفرعونية: لقد كشف لنا الله –ﷻ– مظاهر هذه الحضارة التي وصلت شأوًا بعيدًا في عصرها، فقد وصفها الله بقوله: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ﴾ [1] ومن الآيات نستشف المظاهر التالية:

١–في جانب العمران: المنازل الحسان، فالمقام أصله: محل القيام، والمعنى: المساكن الكريمة، وقد تفننوا في فن البناء، فقد قال فرعون لوزيره:﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا ﴾ [2] والصرح هو القصر المنيف.

٢–في جانب المال والثروة: قال تعالى "وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ" والكنوز: الأموال الظاهرة من الذهب والفضة.

٣–الزراعة والمياه والجنان والعيون وهي بساتين مصر، وجناتها الفائقة، وعيونها المتدفقة، وزروع قد ملأت أراضيهم، وعمرت بها حاضرتهم وبواديهم، والأنهار المنسحبة، والمجاري الجارية من النيل في وسط القصور.

ثانيًا: المظاهر المادية في حضارة عاد: عاد أمة عربية ذات تاريخ غائر في القدم، ووصفها بالقوة والصولة، وعزت الجانب [3] وكانون يسكنون الأحقاف وهي: الكثبان الرملية من ناحية اليمن، ولقد افتخروا بقوتهم، والقوة تكمن في قوة البدن، هذه القوة هي التي أهلتهم إلى ما وصلوا إليه من مظاهر مادية، جمعها الله في قوله:﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ﴾ [4] فهذه الآية تكشف لنا نواحي من حياة هذه الأمة، وتاريخها، وحضارتها المادية، فهي تدل على المظاهر التالية:

١–**العمارة والمدنية:** فالآية تدل على أنهم كانوا ذو بصيرة بعلم تخطيط المدن والأبنية، والريع وصف لحضارة عمرانية لا نظير لها على حد قول الله تعالى:﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ [5] .

---

[1] سورة الشعراء، الآيتان:٥٧، ٥٨.

[2] سورة القصص، الآية:٣٨.

[3] في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، ص٣٩٣..

[4] سورة الشعراء، الآية:١٢٨.

[5] سورة الفجر، الآية:٨.

٢-**المال والثروة**:قال تعالى:﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴾ [١] وذلك أنهم كانوا في غاية من الأرزاق الدارة، والأموال.

٣-**الزراعة والمياه**: فقد أمدهم الله -تعالى-بالبساتين والأنهار وعيون المياه، قال تعالى:" قال تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [٢] والمصانع في قول الله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [٣] مآخذ الماء، يعني الحياض

ثالثًا: المظاهر المادية في حضارة ثمود: أمة عربية كانوا يسكنون بالحجر بين الشام والحجاز، بينت سورة الشعراء بأن لهم حضارة مادية تتميز بالقوة والتعمير، ولديها وسائل التعمير﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ [٤].

وهذه الآيات أدق وصفًا لمظاهر حضارة ثمود التالية:

١-**العمران والبناء**: لقد وصفهم القرآن في هذا الجانب بأنهم كانوا "فَٰرِهِينَ "أي حاذقين وقد كانوا على ما قرره المفسرون [٥].

يسكنون بيوت الطين بالصيف وهو ما عبر عنه بقوله ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ [٦] أي من الأرض السهلة التي ليست بجبال تتخذون فيها القصور العالية وفي الشتاء يسكنون بيوت الجبال، وما نحتوه في الجبال مشاهد إلى الآن من المساكن والحجر ونحوها،وهى باقية ما بقيت الجبال [٧].

٢- **المال والثروة**:فقد ذكر الله تعالى أنه كان لثمود مال، فقد قالوا لنبيهم:

﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ﴾ [٨].

والآية تشير إلى ضلالة الغلو في الحرية الشخصية للجانب الاقتصادي، المنهج الذي قامت عليه بعض الأنظمة الاقتصادية في العصر الحديث والتي تعتمد على فكرة الملكية الخاصة والحرية الاقتصادية، وغير ذلك من النظريات

---

[١] سورة الشعراء، الآيتان:١٣٢، ١٣٣.
[٢] سورة الشعراء، الآية:١٣٤.
[٣] سورة الشعراء، الآية:١٢٩.
[٤] سورة الشعراء، الآيات:١٤٦-١٤٩.
[٥] معالم التنزيل في تفسير القرآن، جـ٣صـ٢٤٧؛ تفسير القرآن، السمعاني جـ٢صـ١٤٩؛ بحر العلوم، جـ١صـ٥٢٩
[٦] سورة الأعراف، الآية:٧٤.
[٧] البغوي جـ٣ صـ٢٤٧؛ السعدي
[٨] سورة هود، الآية:٨٧.

الشيطانية في الحرية والأموال، فالحرية عند هؤلاء كانت منفلته وغير مضبوطة في تنمية أموالهم واستقلالها، وتصرفهم في الكسب من الناس بما يستطيعون من احتيال، واستحلال أكل أموال الناس بالباطل.

٣- **الزراعة والمياه:** يصور لهم نبيهم ما يعيشون فيه من نعم ليفقهوا فضل الله عليهم وليحذروا زواله، فقال لهم: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ وهو التفاف كفيل بأن يرقق القلوب فلقد أنعم الله عليهم بالحدائق الغناء المثمرة وعيون الماء الجارية والزروع الكثيرة.

رابعًا: المظاهر المادية في حضارة مدين:

إن المتأمل في قصة مدين يجدها تتحدث حول أحد عوامل اكتساب الملكية في النشاط الاقتصادي وهو: البيع والشراء، ويضع دلالات لضبط المعاملات المادية وحالات تشخصية وعلاجية لجوانب متعددة من الفساد الذي يؤدي إلى غياب الأمن الاقتصادي، الأمر الذي يترتب عليه الانهيار الاقتصادي والاجتماعي.

فقد قال نبي الله شعيب لقومه واصفًا حال المجتمع وما يعانيه من اضطراب اقتصادي محاولًا التوجيه والإرشاد: قال تعالى: ﴿أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [1] .فقد عدد عليهم الممارسات غير الأخلاقية: التطفيف في الكيل والميزان، والبخس وهو لفظ يعم دقيق الفساد وجليلة وكل ذلك من أكل أموال الناس بالباطل وهو منهي عنه في الأمم المتقدمة والسالفة على ألسنة الرسل عليهم السلام.

من هذه الوقفات القرآنية، والصور البيانية، حول مظاهر الحضارات المادية كان هناك جملة من الحقائق التي عرضها قصص سورة الشعراء نبينها فيما يلي:

١-إن حضارة الأمم التي ورد ذكرها كانت ذات أبعاد مادية.

٢-اتصفت تلك الحضارات بالقوة والهيمنة والعلو في الأرض، والغاية في الرفاهية، وتسخير الثراء في المفاسد.

٣- بلغت هذه الحضارات المادية مبلغًا رفيعًا **في جوانب الحياة الإنسانية التالية:**

[1] سورة الشعراء، الآيات:١٨١-١٨٣.

أ- إن تصميم وتخطيط المباني والقصور لتعكس في سماتها وأشكالها القدرات المادية، والتطلعات الفنية والجمالية والمهارية، وفي سبيل ذلك اخترعوا الأدوات التي تستلزمها الحضارة وتقتضيها العمارة.

ب- بناء الهياكل المائية، واستصلاح المساحات الزراعية وتفجير العيون الجارية، وزروع الحقول الحافلة.

ج- تقديس الثروات وحشد الممتلكات واحتكار الأموال وتضخيم الأصول.

د- الطرف والانهماك في الشهوات، والتيه في أودية الضلال.

المطلب الثاني: مآلات الحضارة المادية: إن المؤرخ الألماني اشنيغلر أشار في كتابة "تدهور الحضرة الغربية" أن للحضارة عمرًا محدودا ومصيرًا محتومًا تأوي فيه إلى الأفول، فهو يقول: "إن الحضارة ككل كائن لها طفولتها وشبابها ونضوجها وشيخوختها، وأنها تموت عندما تتحول إلى مدنية وأخيرًا تتجاوز المدنية إلى الانحلال والفناء، ويرى أن لكل حضارة تاريخًا ومصيرًا وصيرورةً تحدد اتجاهها، وأن للحضارة دستورًا أخلاقيًا يتمثل في العقيدة وأن الدستور الحضاري لا يعتمد العقل أبدًا، وأن العقلانية هي فلسفة مدنية لا حضارية، لذلك لما تدخل الحضارة الطور العقلاني من تطورها تبلغ خريف عمرها، وتشيخ وتهوى إلى درك المدنية، ثم تتابع انحدارها إلى الانحلال [1] .

وقد سبق شنيغلر في نظريته هذه ابن خلدون [2] ولعل المؤرخ الألماني قد تأثر به فيما أشار إليه حول عوامل تدهور الحضارات، ومن الأسباب التي أشار إليها ابن خلدون في انهيار الحضارات وخراب العمران:

١-الاستبداد بالملك والسلطة: وهذا يتمثل فيما كان عليه فرعون، فقد قال لموسى عليه السلام ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [3]

٢- الترف وقد وضح ابن خلدون ذلك من وجوه ما يقتضيه الترف من زيادة في النفقات حيث لا يتوازن الدخل مع الاستهلاك، ومن جهة أخرى فإن الترف مفسدة للأخلاق بما يحدثه من صبغة الشر وإذا كثر ذلك تأذن الله بخراب تلك الأمة وانقراضها، **قال تعالى:** ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا

---

[1] تدهور الحضارة الغربية، أسوالد اشنيغلر، صـ١٤، ١٢، ترجمة/ أحمد الشيباني مكتبة الحياة، بيروت-لبنان

[2] ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون،تحقيق د/سهيل زكار، جـ١ صـ٤٦٥، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ، دار الفكر، بيروت.

[3] سورة الشعراء الآية:٢٩.

فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ [١] وكل الأمم التي قص علينا خبرهم كانوا غاية في الترف والدعة.

٣- الفساد والانهماك في الشهوات والاسترسال فيها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [٢]

٤- الظلم وهناك جملة من الأعمال توقع في الظلم من ذلك: تسخير الرعايا بغير حق، وإن تكرر ذلك أفسد آمالهم في العمارة، فأدى ذلك إلى انتفاض العمران وتخريبه ويتمثل ذلك فيما كان يفعله فرعون في بنى إسرائيل وقد أرسل الله موسي ليخلص الأمة المستعبدة تحت وطأة فرعون قال تعالى: ﴿أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [٣] .

ومن ذلك أكل أموال الناس بالباطل عن طريق الشراء من الناس غصبًا وبخس ما في أيديهم، والبيع لهم بأسعار مختلفة والإكراه في البيع والشراء [٤] وهو بعينه الفساد والظلم الذي انتشر في قوم مدين وقد نهاهم نبيهم عنه

لقد استوطؤا مركب الجهل واستحلبوا مشرب التقليد، واعفوا قلوبهم من استعمال الفكر [٥] فلم يستجيبوا للناصحين ولم يتعلموا من المرشدين، ولم يكن العهد بينهم وبين الذين ساروا على نهجهم ببعيد.

ومن سنن الله المطردة: زوال الحضارات الظالمة،وهلاك الأمم الطاغية قال تعالى:﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾ [٦] عقابًا لهم على ما اقترفوه من الآثام وما ارتكبوه من عتوٍ وعناد قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾ [٧] .

ولقد كانت طرق الهلاك متعددة وأنواع العذاب متنوعة، وسبل الانهيار مختلفة قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [٨] .

---

[١] سورة الأسراء، الآية:١٦.
[٢] سورة الشعراء الآية:١٨٣.
[٣] سورة الشعراء الآية:١٧.
[٤] ديوان المبتدأ والخبر،جـ١ صـ٣٥٨.
[٥] لطائف الإشارات، القشيري، جـ٢صـ٢٣٢، تحقيق/ إبراهيم البسيوني، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر
[٦] سورة الأنبياء، الآية١١.
[٧] سورة الطلاق، الآية:٨.
[٨] سورة الأسراء، الآية:٥٨.

وهذه هي سنة الله التي أجراها في خلقه ومصارع الأجيال الغابرة التي قضت بها حكمته، ومضت عجلة الحياة، ولعل البشرية تعي الأحداث فالسنة ماضية تدرك الأمم حينما تأخذها الغفلة وتستحوذ عليهم الشهوة، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [1] .وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم كما قال عن الأمم الماضية، فالحضارات المادية الغابرة طال عليها الأمد، وزادهم قوة إلى قوتهم، فأقبلا على الملذات وانصرفت همتهم إلى التعالي، اشركوا مع الله، واستحمقوا المرسلين، ونبذوا الشرائع، ولم ينظروا في العواقب، فتحقق الوعيد وفي آخر سورة الشعراء قال الله تعالى:﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [2] .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن الإيمان كن كفيلًا بأن ينجي الأمم من البوار ولكن لم تؤمن قرية بتمامها إلا قوم يونس فإنهم آمنوا ولكن بعد معاينتهم العذاب قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [3] .

والله ﷻ يوقظ الأمم ويستنهض الحضارات لتتحرر من المهلكات وتمتثل للطاعات ولتحذر البشرية اليوم من الوقوع فيما وقع فيه أهل القرون الماضية من ترك الأمر بالمعروف والأمر عن المنكر حتى لا يصيب اللاحقين ما أصاب السابقين. فمن الآيات الدالة على الهدايات التي من أجلها ساق الله القصص القرآني، قوله تعالى:﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [4] فهي آية جامعة، اشتملت على هدايات قرآنية ومنها:

١-سوء عاقبة من ارتكس في الشرك والظلم قال تعالى:﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [5]

٢- الفساد في الأرض إنما يكون بعصيان الله تعالى وتكذيب رسله والسير وراء الأهواء، ولقد كان أكثر الأمم البائدة فاسدين ومفسدين.

---

[1] سورة العنكبوت، الآية:٤٠.

[2] سورة الشعراء الآيات:٢٠٥-٢٠٧.

[3] سورة يونس، الآية:٩٨.

[4] سورة هود، الآية:١١٦.

[5] سورة هود، الآية:١١٦.

٣- ربطت الآية الترف بجملة من المعاني والمفاهيم:
- الترف هو سبب الفساد. - الترف يجر صاحبه إلى الظلم.
- الترف يرتبط بالفسق والخروج عن طاعة الله. - الترف هو الذي تسبب في الاستعلاء والتكبر على رسل الله ومناهضة المصلحين، واضطهاد واستعباد خلق الله.
- الترف حالة بين الأمم وبين الهداية والاستقامة، وصدهم عن السبيل مع العلم بأنهم كانوا مستبصرين.
- الترف هو رأس كل خطيئة وسبب في استحقاق العذاب والهلاك.
٤- تشير الآية إلى وجوب وجود بقية صالحة تعالج ما أفسده الناس، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.
٦-تلفت الآية الأنظار إلى أن الأمم أبطرتهم النعمة فانغمسوا في الشهوات والمعاصي وأعرضوا عن طاعة الله
٧- إن المصلحين في كل زمان ومكان هم صمام أمان المجتمعات قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ [١] .وتختتم سورة الشعراء بتهديد شديد، وانذار مخيف لهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي، وظلموا غيرهم بالتنكيل، قال تعالى: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [٢] .

[١] سورة هود، الآية:١١٧.
[٢] سورة الشعراء، الآية:٢٢٧.

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات:

وبعد فإني أحمد الله على عونه وتوفيقه بإتمام هذا البحث في هذا الموضوع، ويطيب لي أن أختم بما توصلت إليه من نتائج يحسن تدوينها فيما يلي:

١. لقد أرشد القرآن الكريم المجتمع الإنساني إلى ما فيه سعادته في أمري: المعاش والمعياد.

٢. إن سورة الشعراء تستعرض حركة الرسائل السماوية في التاريخ الإنساني كله، وتثبت أنها قامت على حقيقة واحدة، أساسها" توحيد الله بالعبادة".

٣. يجب العلم بأن القصص القرآني حقائق ثابته قصد القرآن تقريرها.

٤. إن القصص القرآني ليفتح للبشرية آفاق من المعاني، وأهداف متعددة من الحقائق التي تعد حجر الأساس للحضارة الإنسانية.

٥. يعد قصص سورة الشعراء، وما جاء فيها من هدايات السجل الصادق الذي نستطيع من خلاله أن نربط حاضر الإنسانية بماضيها.

٦. لم يأت قصص سورة الشعراء على حسب الترتيب الزمني–كما هو شأن بقية السور– وذلك؛ لأن المقصود الأعظم هنا هو الاعتبار والاتعاظ.

٧. القصص القرآني بوجه عام، وقصص سورة الشعراء بوجه خاص، يعمل على تشخيص الأمراض الاجتماعية، ويعمل على وضع العلاج المناسب لكل داء، من خلال إرشادات وتوجيهات أنبياء الله ورسله الكرام عليهم السلام.

٨. عرضت سورة الشعراء ما تعرض له رسل الله من إعراض وتكذيب، وسخرية واستهزاء، وسجلت موقفهم من هذا الأذى، بما يؤكد حسن ظنهم برب العالمين.

٩. لقد استوعبت سورة الشعراء تاريخ الأمم، وصورت أطوار المجتمعات أبدع تصوير، ووصفت بكل دقة خصائص هذه الحضارات المادية في جمل جامعة، وعبارات مركزة، وسجلت مآلات الحضارات بعد كمالها.

١٠. تسمو سورة الشعراء بالإنسان من خلال قصصها، سموًا يشعر به المجتمع الإنساني الراقي، ويجد فيها بغيته

١١. إلى جانب العمل على رقي المجتمع معنويًا، تحاول سورة الشعراء أن ترتقي به ماديًا من خلال التركيز على مقومات الحضارة الإنسانية.

١٢. اعتنت سورة الشعراء أيما اعتناء بتوضيح أسباب هلاك الأمم والمجتمعات، جراء الكفر بالله، والترف المادي، والظلم، والطغيان، ذلك وغيره مما فصله البحث تفصيلًا.

١٣. وكما رصدت السورة أسباب هلاك الأمم، بينت -أيضًا- عوامل الارتقاء بالمجتمعات الإنسانية، من خلال قصصها المتضمن العديد من التوجيهات والإرشادات.

١٤. لقد بطل واضمحل كل ما عمله الضالون في الدنيا؛ لفساد عقيدتهم، ومخالفتهم أمر الله تعالى.

١٥. على المجتمع الإنساني اليوم أن يتخلص من تلك الأغلال، وهذه القيود المادية التي تخلد البشرية إلى الأرض، وتقلها عن الانطلاق في رحاب الرقي والتحضر.

١٦. إذا كانت البشرية اليوم تعيش في ظلام دامس، ومصير مظلم، فذلك لأنها لم تدرك معنى الإسلام، ولم تذق طعم الإيمان، ولم تستمد قوتها من العروة الوثقى، والدستور المتين.

١٧. الإفساد في الأرض من أي أمة كانت من كانت هو اعتداء على البشرية، واجتراء على المجتمع الإنساني، الذي يأمل الإصلاح؛ ليعم الخير، والرخاء الأرض، ويتحقق التطور والرقي للحضارة الإنسانية.

١٨. لقد تحدث قصص سورة الشعراء عن أنواع متعددة من الفساد، ومن ذلك:

أ-التطرف السياسي، والفساد الأمني، والإرهاب الفكري: ويتمثل فيما ورد من فرعون في استعباده لبني إسرائيل، وإذاعة الهلع والخوف منه ومن جنوده الطاغين.

ب-الفساد الديني: ويتمثل في عبادة الأصنام والأشخاص والكائنات وغيرها من أنواع العبادات

ج-الفساد الاجتماعي: من خلال الكبر واحتكار الضعفاء المتمثل في قوم نوح تجاه المستضعفين من المؤمنين مع نبيهم، بالإضافة إلى ما عاشت فيه الأمم من لهوٍ وترف.

د-الفساد المالي والاقتصادي: وهو ما صدر من قوم شعيب من خيانة للأمانة والعدالة، وسرقة، وبخس، وغش في المعاملات، ونصب في الأخذ والعطاء.

هـ-الفساد الأخلاقي: ويتمثل في المرض الخبيث اذي فتك بقوم لوط ﷺ بعدما انتكست فطرتهم، وفسدت أخلاقهم بالشذوذ واللواط، وسورة الشعراء وضعت العلاج المناسب لهذا النوع، ورسمت المنهج الإصلاحي له.

١٩. ينبغي أن يكون الإعلام من وسائل الدعوة إلى الله، لا أن يكون مروجًا للفتن والفواحش في المجتمع

٢٠. من أسباب تدهور الأمم: المعتقدات التقليدية في التدين والإيمان، والنظريات الشيطانية في الحرية والأموال.

٢١. إن الإصلاح المالي من أهم عوامل النهوض الحضاري، وعلى النقيض تمامًا فإن الحرية الاقتصادية المنفلتة من عوامل تدهور المجتمع الإنساني وهلاكه.

٢٢. إن الضرب على يد المفسدين، يحفظ المجتمع من الهلاك.

٢٣. علمتنا سورة الشعراء ألا نغتر بالمظاهر، ولا نفتتن بالماديات الفارغة، والمدنية الخاوية عن الإيمان، فأمامنا مصير الأمم؛ لنعلم أن سنة الله لا تتخلف في الآخرين، كما أنها لم تفارق الأولين.

٢٤. علمتنا سورة الشعراء، أن من ابتغى العزة في غير دين الله أذله الله: قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [١].

٢٥. إن الأساس الأعظم لسنن الاجتماع، والمقوّم الأوحد والرئيس للشعوب والأمم، في تحقيق أهدافها، وبلوغ مقاصدها، هي تقوى الله تعالى، قال ﷻ ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٢] فهو الأصل الراسخ في احراز الأعمال الدينية والدنيوية.

وأما عن توصيات هذا البحث فهي كالآتي:

١. العمل على تقديم مشروع خاص بالقصص القرآني، يقوم على منهجية علمية ومعرفية، يمثل معينًا خصبًا قادرًا على علاج المشكلات الاجتماعية، وبناء حضارة إنسانية راقية.

٢. العمل على استجلاء منظومة قيمية من خلال هدايات القصص القرآني.

٣. توجيه المتخصصين في الدراسات القرآنية نحو الموضوعات التي تعتني ببناء الإنسان، والرقي بالمجتمع.

٤. إعداد موسوعة علمية لمقومات الحضارة الإنسانية، من خلال الهدايات القرآنية.

وفي الختام أسأل الله القبول، وأن يتجاوز سبحانه عن التقصير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلِّ اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

---

[١] سورة الشعراء، الآية:٤٤.

[٢] سورة هود، الآية:٤٩.

المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن، ابن الفرس، تحقيق/صلاح الدين بو عفيف، الأولى سنة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، دار ابن حزم ، بيروت.

٢. الأساليب والإطلاقات العربية، محمود المنياوي، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، المكتبة الشاملة، مصر.

٣. الاستقامة، ابن تيمية، تحقيق د/ محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ، الناشر جامعة الإمام، المدينة المنورة.

٤. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، الشيخ صالح الفوزان، الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، دار ابن الجوزي.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق/ محمد المرعشلي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٦. إيثار الحق، ابن الوزير اليمني، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية بيروت.

٧. بحر العلوم، السمرقندي، تحقيق/علي محمد عوض وآخرون، الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ–١٩٩٣م، دار الكتب العلمية بيروت — لبنان.

٨. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، تحقيق/ صدقي محمد جميل، طبعة سنة ١٤٢٠هـ، دار الفكر — بيروت

٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى، تحقيق/ محمد علي النجار، طبعة سنة ١٤١٦هـ–١٩٩٦م، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.

١٠. التحرير والتنوير، ابن عاشور، طبعة سنة ١٩٨٤م، الدار التونسية للنشر تونس.

١١. تدهور الحضارة الغربية، أسوالد اشنيغلر، ترجمة/ أحمد الشيباني مكتبة الحياة، بيروت–لبنان

١٢. التعريفات، الشريف الجرجاني، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان.

١٣. التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، الشيخ صالح الفوزان، طبعة دار العاصمة.

١٤. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق/ سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار طيبة.

١٥. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة.

١٦. التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ دار ومكتبة الهلال - بيروت.

١٧. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، طبعة دار المنار.

١٨. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، الباقلاني، تحقيق/ عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة: الأولى سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان.

١٩. تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق/ محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي - بيروت

٢٠. تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق/ زهير الشاويش، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق.

٢١. التيسير في التفسير،النسفي، تحقيق/ماهر أديب وآخرون، الطبعة الأولى سنة ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م دار اللباب، تركيا.

٢٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق الطبعة

٢٣. الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي، د.علي مدكور، طبعة سنة ١٩٩٢م، دار التربية الحديثة.

٢٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق/ أحمد البردوني، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ، دار الكتب المصرية - القاهرة

٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق/محمود شاكر، دار التربية والتراث.

٢٦. الداء والدواء، ابن القيم، تحقيق/محمد الإصلاحي، الطبعة الرابعة١٤٤٠هـ-٢٠١٩م،دار عطاءات العلم، الرياض.

٢٧. الدر المنثور، السيوطي، دار الفكر، بيروت.

٢٨. ديوان المبتدأ والخبر ، ابن خلدون، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الفكر، بيروت.

٢٩. زاد المسير في علم التفسير،ابن الجوزي،تحقيق/عبد الرزاق المهدي،الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ،دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق/ علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت

٣١. صحيح البخاري،تحقيق د/مصطفى ديب البغا، الطبعة الخامسة١٤١٤هـ-١٩٩٣م،دار ابن كثير،دار اليمامة دمشق.

٣٢. علم النفس الجنائي، محمد ربيع ويوسف جمعة، طبعة سنة ٢٠٠٢م، دار غريب للطباعة، القاهرة.

٣٣. الفتاوى السعدية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبعة سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، مكتبة المعارف.

٣٤. ٣٤-فنون الأفنان في عيون علوم القرآن،أبو الفرج بن الجوزي،الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م،دار البشائر بيروت لبنان

٣٥. في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبدالحميد بن باديس، تحقيق/ أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٣٦. لطائف الإشارات، القشيري، تحقيق/ إبراهيم البسيوني، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب-مصر

٣٧. جموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية،طبعة سنة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، مجمع الملك فهد -المدينة المنورة السعودية.

٣٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الأولى سنة١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية – بيروت

٣٩. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية - بيروت

٤٠. المحيط في اللغة، الصاحب ابن عباد، تحقيق/ محمد آل ياسين، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ عالم الكتب، بيروت.

٤١. مختار الصحاح، الرازي،تحقيق/يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة سنة١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، المكتبة العصرية بيروت.

٤٢. مدارج السالكين في منازل السائرين، ابن قيم الجوزية، تحقيق/محمد أجمل الإصلاحي، الطبعة الثانية سنة ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م، دار عطاءات العلم - الرياض.

٤٣. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور،البقاعي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٧م،مكتبة المعارف الرياض

٤٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن،البغوي، تحقيق/محمد النمر وآخرون، الطبعة الرابعة سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، دار طيبة.

٤٥. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق/ عبد الجليل شلبي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨ م، عالم الكتب بيروت.

٤٦. معاني القرآن، الفراء، تحقيق/ أحمد يوسف النجاتي، الطبعة الأولى، الدار المصرية.

٤٧. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق/بيت الله بيات، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي

٤٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار، الطبعة الأولى سنة١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، دار عالم الكتب.

٤٩. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م،دار النفائس.

٥٠. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة

٥١. مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، طبعة سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الفكر.

٥٢. المفردات في غريب القرآن، الراغب، تحقيق/ صفوان عدنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار القلم، دمشق

٥٣. المقدمة، ابن خلدون، تحقيق/ عبدالله الدرويش، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م، دار يعرب-دمشق

٥٤. من حضارتنا، د.جورد عطية، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦م مكتبة الملك فهد الوطنية.

٥٥. الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية،أ.د/طه عابدين وآخرون، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م،مكتبة المتنبي.الأولى سنة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، مؤسسة الرسالة.

٥٦. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، مكي ابن أبي طالب، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الناشر كلية الشريعة - جامعة الشارقة.

٥٧. الوحى والإنسان، قراءة معرفية، محمد السيد الجليند،دار قباء للطباعة، القاهرة.